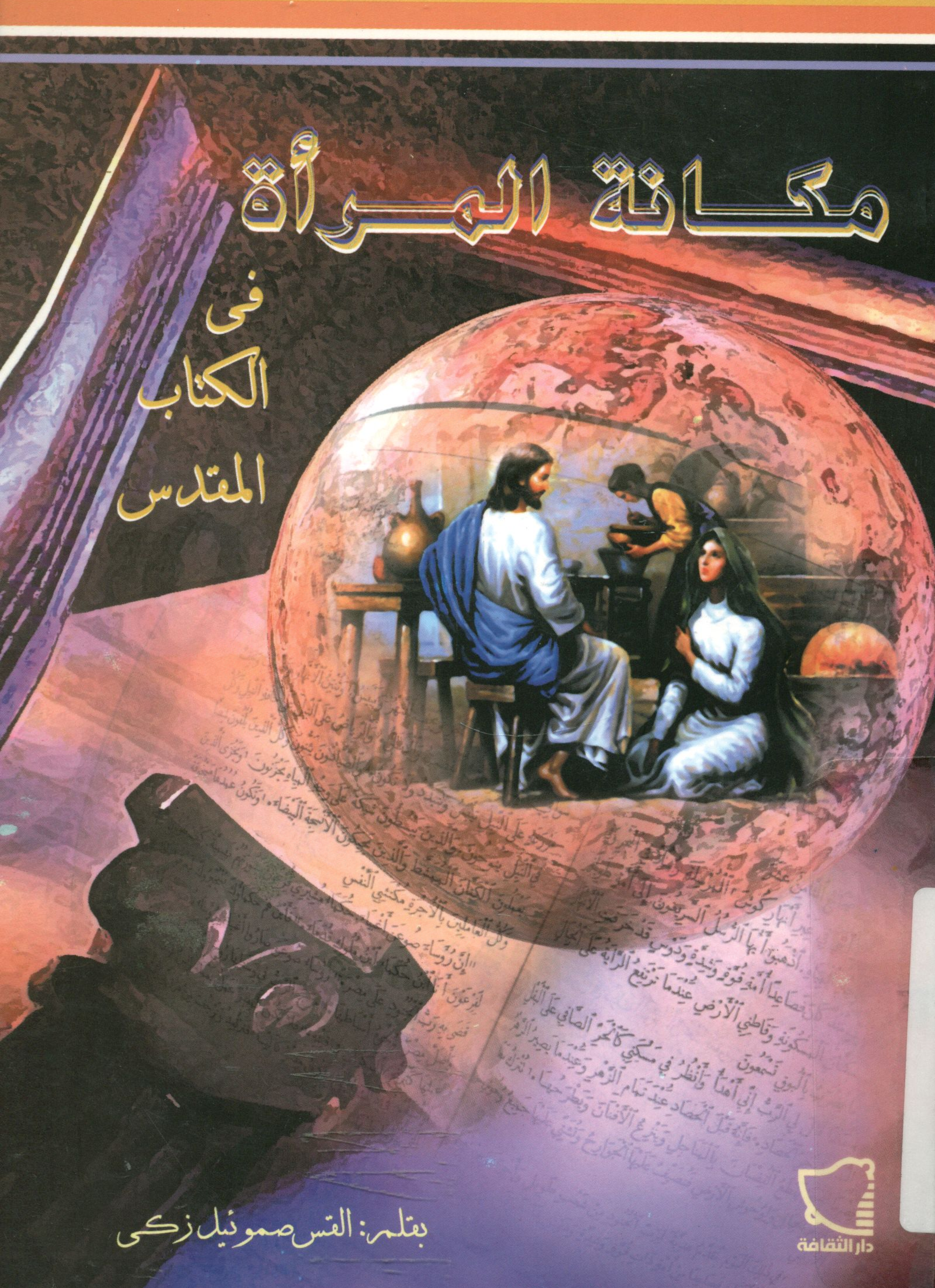


مكانة المرأة
في
الكتاب
المقدس
بقلم: القس صموئيل زكى
دار الثقافة

مكانة المرأة

في

الكتاب المُقدّس

تأليف

القس صموئيل زكي سليمان



طبعة أولى

مكانة المرأة فى الكتاب المقدس
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٨٦٦ ط١/١-١/ ٢٠٠١
رقم الإيداع بدار الكتاب: ٧٦٢٤/ ٢٠٠١
I.S.B.N. 977 - 213 - 561 - 2
جمع وطبع : **بمطبعة سيوبرس**
تصميم الغلاف: **إخلاص مطر**

مقدمة الدار

تميز الفكر الإنساني خلال القرن العشرين بالعمق والتحليل في كل المجالات، وخاصة ما يرتبط بحقوق الإنسان كفرد مستقل أو كفرد في جماعة، ووضعه الاجتماعي الأسري أو في العمل، فوضعت المواثيق الدولية التي تحمي هذه الحقوق. ولكن مازالت تسيطر بعض المفاهيم الخاطئة والتقاليد المتوارثة منذ القديم في بعض المجتمعات عن مكانة المرأة وحقوقها بالنسبة للرجل ومساواتها به في مجالات الحياة المختلفة.

وقد كتب المفكرون كثيراً من الكتب عن المرأة، وأعطوها حقها الواجب في حياة كريمة. وكان لزاماً على المفكرين المسيحيين أن يوضحوا مكانة المرأة في الكتاب المقدس، فكتبت مؤلفات كثيرة في هذا الصدد.

ولكن مؤلف هذا الكتاب أخذ اتجاهاً متطوراً في بحثه في الكتاب المقدس وفي تفسيره لبعض الأقوال التي ربما فُهمت خطأ عن مكانة المرأة منذ التاريخ الأول إلى العهد الجديد.

هذا الكتاب يساعد القاريء على فهم أعمق، وعلى تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة.

دار الثقافة

المحتويات

صفحة

تقــــديــم

تطور تفكير الإنسان عبر الزمن، وانتقل من مرحلة إلى أخرى، فقد عاش بتفكيره البسيط مرحلة زمنية في عصر الرعي والصيد، ثم انتقل إلى تفكير أعمق بعض الشيء في عصر الزراعة. ثم عصر الثورة الصناعية وكان لها أثر كبير على تغيير فكره وتطوره. واليوم أصبح الإنسان يعيش في عصر الثورة المعلوماتية حيث ارتفع مستوى تفكيره ارتفاعاً مذهلاً لا حدود له. وتغيُر فكره هذا قاده إلى تغيُر القيم والعادات والتقاليد. واقتنع الإنسان بأن طريقة تفكيره ومعالجته للأمور التي كانت في الماضي حيث يسود التفكير الخرافي البسيط لا تنفع اليوم حيث التقدم العلمي الهائل. وأصبحت طريقة تفكير الإنسان تشمل تحليل العلم ونتائجه والاستنباط والاستقراء واستشعار المستقبل وغير ذلك.

وأهم مجال للتغيير الواضح نراه قد حدث اليوم في تفكير الإنسان هو نظرته للمرأة ووضعها وحقوقها وواجباتها. وقد شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين تكثيفاً ملحوظاً لمناقشة قضايا المرأة على المستوى العالمي من خلال عقد مؤتمرات ولقاءات متعددة وكثيرة.

ومما دفع للاهتمام بقضايا المرأة في الفترة الأخيرة هو إدراك الشعوب أن النساء وحقوقهن هي جزء لا يتجزأ من محاور التنمية، وأنه لا يمكن أن تنجح أي

جهود تنموية في مجتمع ما مع إغفال نصف طاقته البشرية أو إهدارها، وبالتالي أصبحت النظرة إلى المرأة ومناقشة قضاياها تتم في نطاق أكثر شمولاً ومن منظور أشد عمقاً.

هذا الدرس العظيم تعلمه اليوم واستوعبه جيداً المجتمع الخارجي (أقصد غير الكنسي)، أما المجتمع الكنسي فإن معظم أفراده مازالوا يعيشون بالتفكير الماضي العقيم والمتخلف في نظرتهم للمرأة، وما زالوا يعطلون رسالتها ويغلقون الأبواب أمام خدمة نصف جسد المسيح. وأمام رؤيتي للكنيسة بتفكيرها هذا عن المرأة كتبت هذا الكتاب البسيط كرسالة مع ثقتي الكبيرة في إلهي أنها تنير الطريق أمام البعض وتساعدهم على تغيير اتجاهاتهم في هذا المجال.

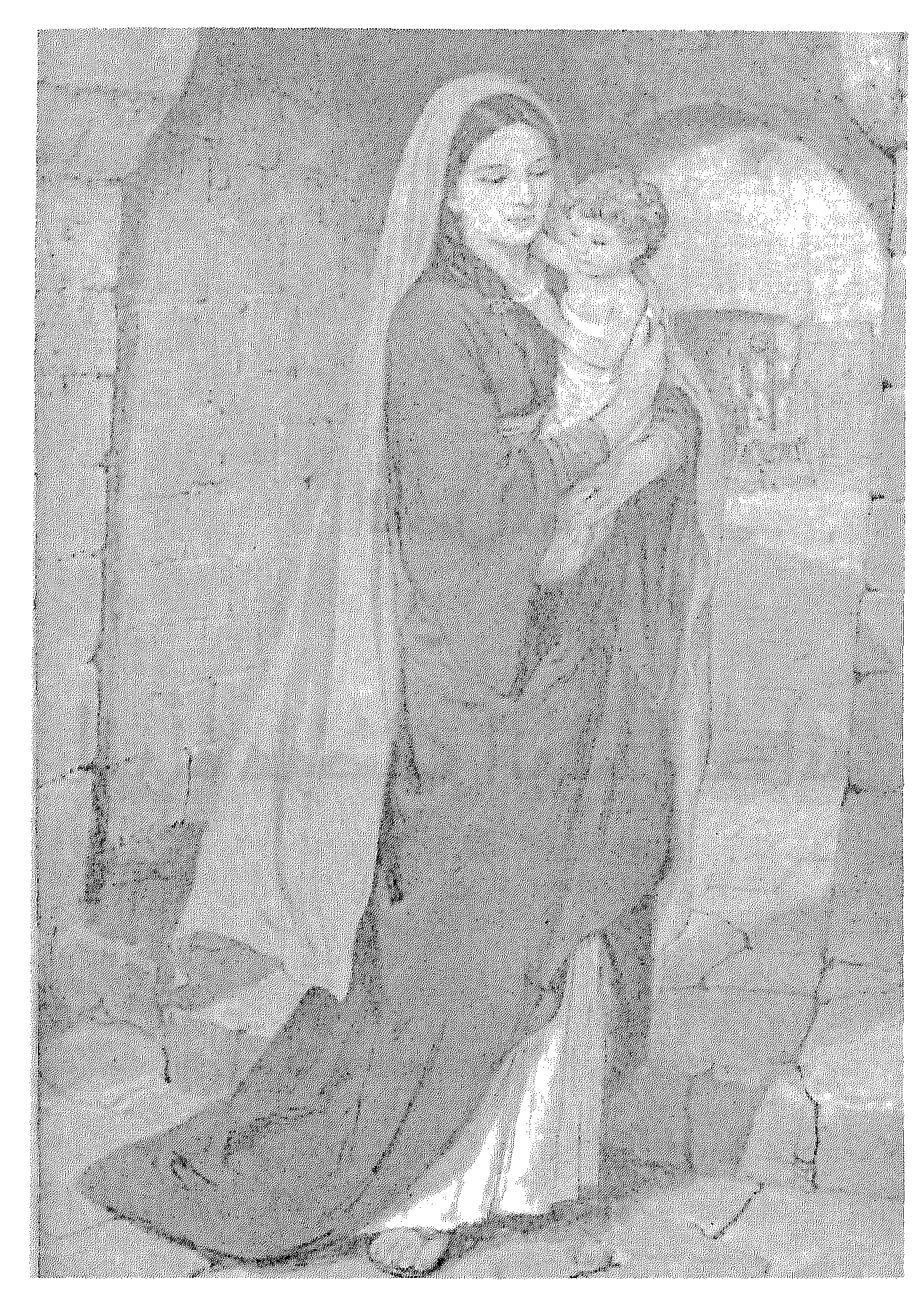
وقد كُتب في مجال المرأة وخدمتها وحقوقها وواجباتها من زوايا دينية واجتماعية ونفسية الكثير من الكتب لأناس أساتذة لي وقد استفدت كثيراً مما كتبوه، لكني قصدت هنا أن أتناول الموضوع من زوايا أخرى وبأسلوب آخر له مضمون جديد لمواصلة نفس مسيرة الإصلاح الكنسي الفكري والتطبيقي في هذا المجال.

وأتمنى أن يجد هذا الكتاب طريقه أولاً إلى المرأة قبل الرجل حتى تعرف هي أيضاً حقيقة نفسها، فهي النفس التي خلقها الله على صورته ومثاله وأودع في داخلها قوة تأثير عظيمة، ومنحها الكثير من المواهب والقدرات العظيمة. لكي توجه

قلبها وذهنها وروحها إلى الله فتعمل فيها النعمة الإلهية باستمرار، وينير فيها المسيح. ومن خلالها يصل نور المسيح للرجل فيتأثر بحياتها وسلوكياتها ورسالتها أكثر من كلامها.

الفصل الأول

المرأة موضوع البحث الدائم



إن الدراسات عن المرأة ليست بجديدة، والاختلاف حول وضعها سواء في البيت أو المجتمع أو الكنيسة أيضاً ليس بجديد، فقد كُتبت عنها كتب كثيرة، كما سيُكتب عنها الكثير أيضاً، سواء في الدول المتحضرة أو الدول النامية، حيث نسمع صوتين يصرخان ضد بعضهما البعض والمرأة تقف حائرة بينهما. صوت يعاملها كإنسان مساوية للرجل تماماً. وصوت آخر يعاملها على أنها أقل من الرجل.. لأنهم لم يعطوا اهتماماً لما يقوله الوحي عنها "ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيراً" (تك ٢: ١٨). فما زالوا يعيشون بالفكر اليهودي عنها حيث كان يصلي الرجل اليهودي قائلاً: "مبارك أنت أيها الرب ملك الكون الذي لم تخلقني امرأة". وأيضاً المرأة التي استسلمت للواقع، وكانت تصلي قائلة: "مبارك أنت يا رب لأنك خلقتني حسب مشيئتك". والتلمود اليهودي الذي يقول: "لم يخلق الله المرأة من الرأس حتى لا تتكبر، ولم يعملها من العين حتى لا تشتهي، ولم يصنعها من الأذن حتى لا تصير فضولية، ولم يخلقها من الفم حتى لا تكون ثرثارة، ولم يعملها من القلب حتى لا تصبح غيورة حسودة، ولم يصنعها من اليد حتى لا تصير طماعة، ولم يخلقها من القدم حتى لا تتدخل في شئون غيرها. لكن الله خلقها من ضلع مغطى لتكون الحشمة صفتها الأساسية".

وفي العصر المسيحي لم يضع البعض في الاعتبار الحرية المسيحية التي قد حررنا بها المسيح، فقد جاء وصحَّح كل ما أفسده السقوط وأرجع الإناء الأضعف إلى المعين النظير. ونطق رسول الأمم بولس بالقول: "ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح" (غل ٣: ٢٨). ورغم

ذلك ما زالت أصوات هؤلاء تنادي بالتفرقة بين الذكر والأنثى. والعجيب أن التفرقة التي كانت موجودة بين اليهودي واليوناني والتي دعت لانعقاد مجمع أورشليم وعولج الأمر وانتهى. كما أن التفرقة بين العبد والسيد لم يسكت عليها العبيد وتحرروا من أسيادهم. لكن التفرقة بين الرجل والمرأة ما زالت باقية.

نعم انقلب الأمر وانعكس الحال، وسبق المجتمع الكنيسة في تحرير المرأة المستعبدة، وأعطى لها حقها ودورها في مجالات كثيرة، لكن الكنيسة ما زالت تغلق أبوابها في وجه المرأة في مجالات كثيرة، تستطيع أن تؤديها على أكمل وجه. وربما تؤديها وتجيدها أفضل من الرجل. وكان المفروض أن يحدث العكس، فقبل أن يعطي المجتمع المرأة مكانتها، كان الواجب على الكنيسة أن تبادر بذلك وتفتح أبوابها للمرأة في كثير من مجالات الخدمة.

والمرأة اليوم تقف وتطالب بحقوقها وتقول: "أريد أن أرى نفسي كما يراني المسيح"، وتطرح سؤالها وتريد الإجابة عليه: ما هو دوري وقد أمرني الرب قائلاً اذهبي وقولي لإخوتي"، أي بمعنى اذهبي اكرزي بالخبر السار وقد ثقلني برسالة عظيمة هي رسالة الإخبار بالقيامة والفداء[١].

ضرورة الموضوعية في دراسة المرأة:

في دراستنا لموضوع مكانة المرأة في الكتاب المقدس وتعرضنا لخدمتها وحقوقها وواجباتها وعملها وغير ذلك، من السهل علينا أن نتحيز لجانبها ونندفع وراء الرغبة في التطور واقتباس كل جديد. كما من السهل أيضاً علينا أن نتحيز ضدها فنفكر ونحن متأثرون بما ورثناه من تراث اجتماعي من الآباء والأجداد في

نظرتهم للمرأة، فننكر عليها حقوقها من حيث إنسانيتها وخدمتها ودورها القيادي والحضاري وغير ذلك. لذا علينا أن نكون موضوعيين تماماً في هذه الدراسة وبعيدين عن أي تحيز لجانب المرأة أو ضدها. ومن جانب آخر من السهل علينا ونحن ندرس دراسة خاصة بالمرأة أن نجد في الكتاب المقدس من الآيات والشواهد الكتابية التي تؤيد الرأي المؤيد للمرأة والرأي الآخر، فمجال الاجتهاد في التفسير واسع جداً. فهناك بعض الآيات الكتابية لو نظرنا إليها بمفردها معزولة عن القرينة المرتبطة بها في الكتاب المقدس، فإن المعنى المقصود يتغير تماماً. لذا علينا أن نفسرها في ضوء المعنى الشامل المقصود(٢). وعلينا أن نراعي الدقة في البحث والتروي قبل إصدار أي حكم لجانب أو لآخر.

والجدير بالذكر فإن موضوع دراستنا عن المرأة في الكتاب المقدس ليس بجديد على التفكير الديني العالمي، فإن كنائس بل وهيئات كثيرة سبقت ودرست هذا الموضوع وعقدت من أجله حلقات بحث كثيرة ولم تصل إلى اتفاق نهائي بشأنه. ولكن رغم عدم الوصول إلى نتائج محددة، إلا أن هذا لا يمنع أن يستنير كل باحث بالآراء المتنوعة بهذا الخصوص.

المرأة بجانب الرجل في الكتاب المقدس

لعل البعض يتساءل: لماذا تحتل المرأة نصيب الأسد في الكتاب المقدس؟ أعتقد أنه ليس سؤالاً جديداً إذ إننا نعلم أهمية المرأة. إن الرجل لا يحتل في التاريخ إلا مكاناً واحداً، أما المرأة فإنها تحتل ثلاثة أمكنة. فإنها كائن حي قائم بذاته نظير الرجل. وهي امرأة كما أن الرجل امرؤ. وهي ثانياً صانعة الرجل فهي أمه. والمرأة

كما يقول نابليون عنها: "تهز المهد بيمينها وتهز العالم بيسارها". أو هي زوجته المكملة له، فإنه خلف كل رجل عظيم امرأة عظيمة. والمرأة تحتل مكاناً ثالثاً حيث هي السند للرجل عندما تضعف قواه. والتاريخ فعلاً قد يكون السطور التي يكتبها الرجال، ولكنك إذا دققت النظر فسترى أن اليد التي تحرك يد الرجل في بناء التاريخ هي يد المرأة. ألسنا نرى ذلك واضحاً في تاريخ حواء وسارة ورفقة وحنة وإيزابيل وعثليا ومريم العذراء وغيرهن[٣].

الرجل والمرأة معاً على الطريق

الهدف الرئيسي من هذه الدراسة لم يكن هو التمييز بين الرجل والمرأة. أو عمل مقارنات بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة أو إمكانيات الرجل وإمكانيات المرأة أو حقوق وواجبات كل منهما. لكنها تهدف إلى زيادة الفهم والتعاون بينهما. ومساعدة المرأة في إدراك إمكانياتها وقدراتها ودورها كتابياً وعلمياً، ولكي تؤدي رسالتها على أكمل وجه. لأن كل من الرجل والمرأة سوف يقف مسئولاً أمام الله وأمام المجتمع عن الرسالة التي كُلف بها كوكيل أمام الله. كما تهدف الدراسة إلى زيادة الاتحاد والتماسك في المجتمع الذي يتكون من الرجل والمرأة معاً على أسس علمية وكتابية، فكل منهما يمثل نصف المجتمع وكل منهما يلزمه أن يكمل الآخر، والعمل أيضاً على زيادة الارتباط والتماسك الأسري، وعلى تنشئة وتربية الجيل الجديد المعاصر من فتيان وفتيات على أسس سليمة ناضجة مسئولة من احترام الذات وبناء الشخصية وحمل المسئولية واتساع دائرة الخدمة.

المرأة مخلوق عجيب على صورة الله

المرأة هي ذلك المخلوق العجيب الذي خلقه الله على هذه الصورة من الكمال والروعة والجلال والإبداع، وهو ما يدل على أنها بحق معجزة من معجزات الخالق جل وعلا. فالمرأة إنسان كامل الإنسانية تمتاز بوجدان عميق وعاطفة قوية، وإن كان البعض يرى في تلك العاطفة ضعفاً إلا أن الحقيقة غير ذلك، فهذا الذي يراه البعض ضعفاً هو في الحقيقة رقة [٤].

وقد عبَّر عن ذلك ڤولتير الفيلسوف الفرنسي قائلاً: "تقدر النساء على كل ما تقدر عليه وما بينهن وبيننا من الاختلاف إلا أنهن أكثر منا لطافة".

بعيدة هي أعماق المرأة

ما زالت المرأة في نظر الكثيرين لغزاً لم يُحل بعد بالصورة الكاملة. ولهذا فقد وجد البعض في الحديث عنها مجالاً متسعاً لإظهار ما لديهم من قدرة على البلاغة، واستطاعوا أن يجعلوا من ذلك نوعاً من الشهرة وذيوع الصيت. وكان البعض صادقاً وواضحاً، والبعض الآخر اهتم بالشكليات فقط. ورغم ذلك فإننا لم نصل بعد إلى أعماق المرأة، كما أننا لم نستطع بعد أن ندرك أبعاد وأعماق تلك المعادلة الصعبة بين الإمكانيات والالتزامات، ولم نستطع وزن المعادلة من حيث الحقوق والواجبات. ولأجل ذلك قال الروائي الإنجليزي الشهير شكسبير والذي لقب بلقب رجل لكل العصور: "من ذا الذي يستطيع فهم المرأة". وكما قال المفكر الكبير فكري أباظة: "المرأة كانت.. ولا زالت لغزاً يحار في فهمه الكثيرون". وقال شخص يدعى ربكس ستويت "سحر المرأة لغز لم يحله الرجال حتى الآن" [٥].

موقع الرجل من المرأة في الحياة

المرأة خُلقت من أجل الرجل، وخلقت لتكون معيناً للرجل ولتشاركه حلو الحياة ومرها، لذا عليها أن تعرف أنها لم تخلق لذاتها بل لتكون المعين لآدم، وليس مجرد معين لكنها المعين النظير أي يجب أن تكون بجانبه، فإذا أرادت أن تسبقه أو تتعالى عليه لغيرت مسار الحياة الطبيعي وأضاعت نفسها وأضاعته. لذا على كل امرأة تريد أن تعيش سعيدة في حياتها عليها أن تسير في الطريق الصحيح الذي رسمه الله لها. فالرجل هو رأس المرأة كما أن المرأة هي جسد الرجل، والرجل مطلوب منه أن يراعى هذا الجسد ويعتني به وعليه أيضاً أن يفهم ويعي جيداً المفهوم الصحيح للتعبير "رأس المرأة"، أي بمعنى وآخر عليه دور القيادة والقيادة لا تعني السلطة والاستبداد بالمرأة بل هي التوجيه والإرشاد وتحمُّل مسئولية الأسرة، فوراء كل امتياز مسئولية. وكما يقول الوحي الإلهي بلسان الرسول بولس "غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة. ولكن جميع الأشياء هي من الله" (١كو ١١: ١١و ١٢).

من أقوال العظماء والمفكرين عن المرأة

أقوال إيجابية

- أحلى هدية أهدى بها الله الإنسان هي المرأة (جويار)
- المرأة مخلوق بين الملائكة والبشر (بلزاك)
- المرأة الفاضلة ملكة (فيزين)

- كل شيء حسن وجميل حولي هو من صنع زوجتي (ركفلر)

- كلما رأيت رجلاً وصل بعلمه إلى قمة المجد فاعلم
أن بجانبه امرأة يحبها وتحبه (شيلر الألماني)

- تقدر النساء على كل ما نقدر عليه وما بينهن وبيننا
من الاختلاف إلا أنهن أكثر منا لطافة. (ڤولتير الفرنسي)

- المرأة أبهج شيء في الحياة. (كونفوشيوس)

- المرأة تاج الخليقة. (هيردر)

- خلقت المرأة لتشعرنا بمعنى الحياة، فهي مثال الرقة والكمال. (فولتير)

- كل ما وصلت إليه من اتساع الشهرة وعلو المركز
إنما يعود الفضل فيه إلى أمي. (چون آدمز)

- كل عمل مجيد وعظيم أساسه المرأة. (لامارتين)

- أعظم مخلوق هي المرأة إذا عرفت قدر نفسها. (جلادستون)

- المرأة الجميلة جوهرة ثمينة أما الطيبة فهي كنز عظيم. (ساندي)

- المرأة التي تهز المهد بيمينها تزلزل العالم بيسارها. (نابليون بونابرت)

- البيوت بغير النساء الصالحات قبور. (بلزاك)

- كلما أردت أن أتخيل السعادة، تمثلت أمامي

في صورة امرأة حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل. (قاسم أمين)

- سئل نابليون: ما أمنع الحصون؟ فأجاب المرأة الصالحة.

- إن امرأتي هي التي جعلتني من أنا. (بسمارك)

أقوال سلبية

- ما أصعب على المرأة أن تكتم أمراً (شكسبير)

- قد يصفح الرجل فينسى. أما المرأة فقد تصفح ولكنها لا تنسى (فيليب جرفر)

- عقل المرأة مخدوع أبداً من قلبها. (بريفو)

- لا تقوى المرأة على محو الماضي وإنما تجعل من الحوادث طبقات تقيمها الواحدة فوق الأخرى. (دوماس الصغير)

- تتنازع المرأة على الدوام عاطفتان شديدتان.

حب أحد الجنسين وكره الآخر. (سيدين)

نظرة الشعوب المختلفة للمرأة

عند القدماء المصريين: كان للمرأة مقام ممتاز فكانت تعقد العقود وتقوم بالأعمال التجارية وتنهمك في الأمور السياسية وتتولى المناصب القيادية أمثال كليوباترا ونفرتيتي وحتشبسوت وغيرهن.

عند بعض شعوب الهند القدماء: كانوا يدفنون المرأة حية مع زوجها عند وفاته.

عند بعض شعوب الألمان القدماء: كانوا يقامرون بزوجاتهم عند لعب النرد.

عند بعض شعوب الصين: إذا توفى زوج المرأة تظل أرملة طول حياتها ولا يجوز لها أن تتزوج.

عند بعض قبائل السودان: تطلب الفتاة أن يتصارع الرجال أمامها فتتزوج منهم من كان أقوى بنية وأكثر شجاعة.

عند شعراء الفرس الأقدمين: قال أحدهم إن الله عندما أراد أن يخلق المرأة جمع رقة النسيم وأريج البنفسج ونور الشمس وابتسامة الربيع وخلق منها المرأة.

وقال آخر إن الله غضب على المرأة فجعل النار وجهنم والهاوية والظلمة والحية والخطيئة والرذيلة أسماء مؤنثة، وجعل النعيم والفردوس والنور والصلاح أسماء مذكرة.

عند الأوربيين يقولون: إن الله عندما أراد أن يخلق حواء من آدم لم يخلقها من عظم رجله لئلا يطأطأ ولا من عظم رأسه لئلا تسود عليه، ولكن خلقها من ضلع من أضلاعه لتكون قريبة من قلبه.

حقيقة مهمة تحتاج إلى فهم جيد

إن الحقيقة المهمة التي نستنتجها هنا من أقوال المفكرين والعظماء عن المرأة والتي نستنتجها أيضاً من معاملة الشعوب لها بأساليب مختلفة هي أن النظرة إلى المرأة وأسلوب التعامل معها يختلف باختلاف نظرات الأفراد وتقييمهم لها

بحسب ما نشأوا وتربوا وتعلموا عنها، فما تعلموه وتربوا عليه جزء من شخصياتهم ومعتقداتهم عن المرأة. وليست القضية هنا في طبيعة المرأة أو نظرة الله إليها أو ما يقوله الكتاب المقدس عنها، ولكن الاختلاف يتمثل في الفارق بين نظرة شخص وآخر أو معاملة شعب وآخر لها. والدليل على ذلك أننا نجد من يعظمها ويمدحها مدحاً عظيماً، فيرى أنها حسب قول أحدهم: "أجمل هدية خص الله بها الرجل"، بل ونرى من يعتبرها أساس المجد والرفعة والتقدم ومصدر البهجة والسعادة.

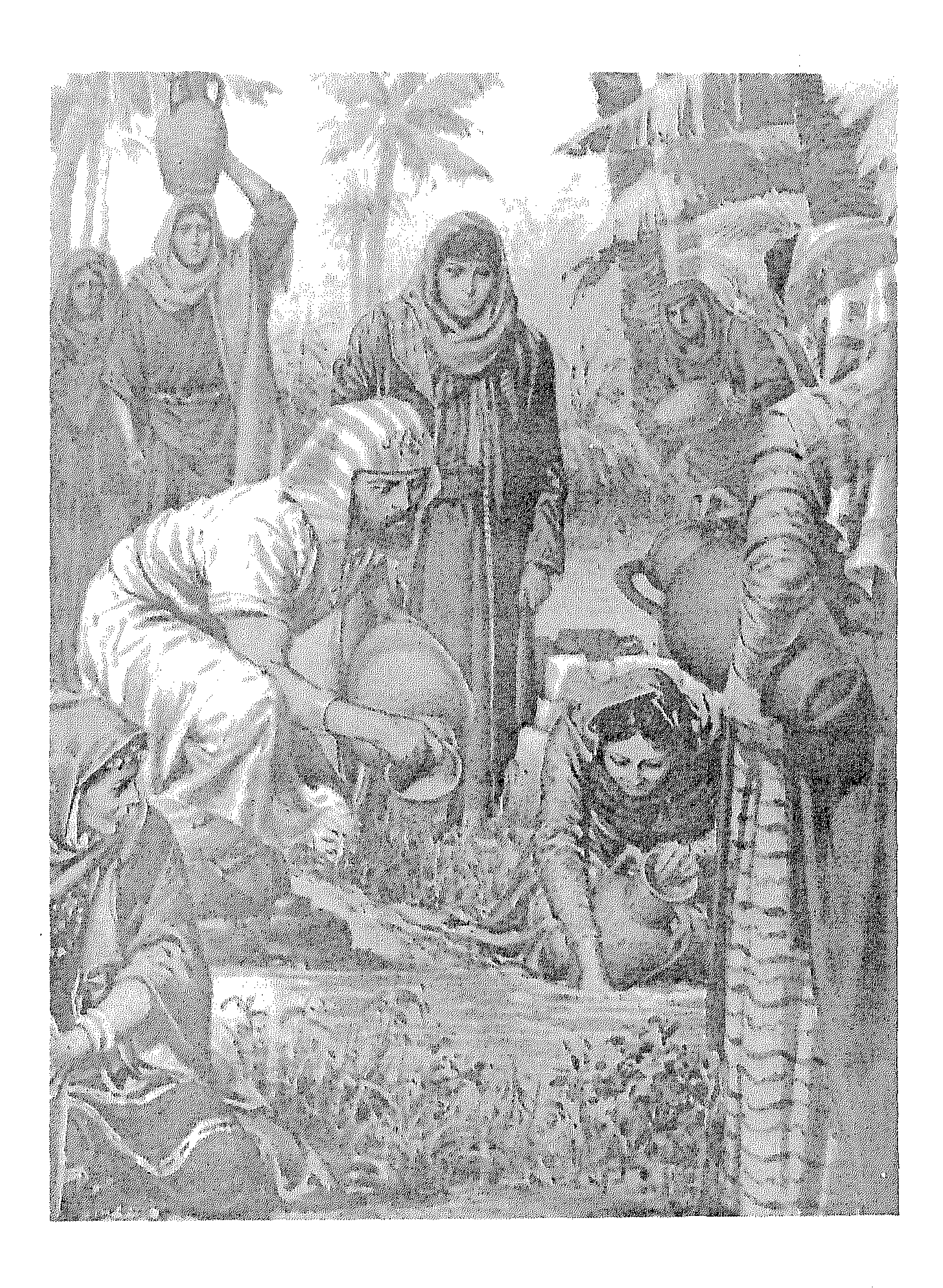
وهناك من يرى عكس ذلك تماماً.

إذ نرى في أقوال هؤلاء تغيراً كاملاً مائة وثمانون درجة -كما يقولون- في حين أن المرأة كما هي، وطبيعتها كما هي، ونظرة الله إليها كما هي، وأقوال الكتاب المقدس عنها كما هي، لكن القضية الرئيسية تتمثل في نظرة الرجل إليها التي تختلف من شخص إلى آخر.

وهذه الحقيقة تقودنا إلى حقيقة أخرى مهمة نتوصل إليها هي أن الإنسان هو القضية والإنسان هو الحل. فعلاج الكثير من المشكلات التي تعانيها المرأة يرجع أساساً لإصلاح نظرة الرجل إليها.

الفصل الثاني

المرأة إنسان مساوٍ للرجل تماماً



يتحدث الوحي الإلهي في سفر التكوين عن قصة الخليقة، فقد خلق الله كل المخلوقات في الأيام الستة الأولى. ووجد الرب أن كل ما صنعه حسن جداً، وفي اليوم السادس أيضاً خلق الإنسان الذي ميزه عن كل الخلائق الأخرى، وقال الله "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (تك ١: ٢٦-٢٨). واستحسن الله كل ما خلقه. وهنا نلاحظ أن الوحي يخبرنا بأن الله خلق الإنسان ولم يقل خلق الرجل (بحسب اللغة العبرية). فحديث الوحي هنا عن الإنسان كجنس وليس كفرد واحد سواء كان هذا الإنسان رجلاً أو امرأة، فالنظرة للإنسان بجنسيه في كل الأعمار وكل الأزمان وكل الأماكن.

وقول الوحي الإلهي عن ذلك واضح وصريح. فالرجل إنسان والمرأة إنسان، ولا فرق بينهما على الإطلاق من جانب الحقوق أو الواجبات إلا في الناحية الجسدية البيولوچية ليكملا بعضهما البعض ولمسايرة الخليقة. وهنا نلاحظ أن الله يخاطب آدم وحواء في هذا النص الكتابي وهما اثنان فقط بصيغة الجمع، وذلك يمثل تعبيراً عميقاً عن حضور صورة البشرية كلها في فكر الله ورؤيته للعالم في شخص آدم وحواء. وبهذا يحتسب كل ما قيل لآدم وحواء إلى كل البشرية في كل العصور وإلى منتهى الدهور، أي إلى كل رجل وامرأة في كل الظروف

والأحـوال. ويمكننا الآن أن نتصور مدى قصور المعنى وانغلاقه لو أن كلام الله جاء لهما بصيغة المثنى، ثم أليس هذا يدخل في صميم موضوعنا أن التساوي بين الرجل والمرأة خلق فيهما ليظل قائماً دائماً؟[١].

وفي هذا القول الإلهي وأقوال أخرى واردة في الوحي المقدس نرى المساواة بين الرجل والمرأة من عدة جوانب كما يلي:

(١) البركة المتساوية تماماً للذكر والأنثى:

أعطى الله بركة واحدة مقسمة بينهما بالتساوي، ينالانها معاً طالما هما في ألفة أو في اتحاد. وقد نتج عن هذه البركة الواحدة المتساوية مسئولية واحدة متساوية، فهما يعملان معاً بمقتضى هذه البركة.

والبركة المقصودة هنا هي بركة منحها الله لهما في قوة التوالد والتكاثر حتى يصيرا ما لا يحصيهما عد. وجاء معنى كلمة (بارك) الخاصة بالإكثار في عدة آيات ومواقف مثل القول: "وباركوا رفقة وقالوا لها أنت اختنا صيري ألوفَ ربواتٍ" (تك ٢٤: ٦٠). وأيضاً قول الوحي "امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غرس الزيتون حول مائدتك. هكذا يبارك الرجل المتقي الرب" (مز ١٢٨: ٣ و٤). ونلاحظ هنا أن هذه البركة لم تكن مجرد هبة وهبها الله للإنسان بل هي وظيفة أيضاً ومسئولية[٢].

(٢) مسئولية الإنجاب معاً:

إذ يقول لهما الرب (أثمروا) والمقصود بالثمر هنا هو النسل أو الإنجاب حيث

يتحملا هذه المسئولية بالتساوي، كما أن أعباءها مقسمة بينهما بالتساوي أيضاً. فلا يمكن أن ينجب الرجل وحده بدون المرأة ولا يمكن أن تنجب المرأة وحدها بدون الرجل.

(٣) مسئولية الكثرة معاً:

وبالطبع لا يجوز أن يتولى أحد الزوجين مسئولية الإنجاب وحده. والزوج الآخر يتولى مسئوليات أخرى كالزراعة أو العمل الحكومي أو تربية الأبناء أو غيرها، فالكثرة مسئوليتهما معاً، وهذا يعني أيضاً أن نسلهما من بعدهما أعطى نفس البركة التي لهما ليثمروا أيضاً حتى تأتي الكثرة التي لا تستنفد البركة أبداً، بل ستظل البركة هي المصدر الثابت لدوام النسل. وحدود هذه الكثرة التي لا تستنفد البركة أبداً، بل ستظل البركة هي المصدر الثابت لدوام النسل. وحدود هذه الكثرة ستنتهي بملء الأرض.

(٤) إخضاع قوي الطبيعة معاً:

ومسئولية إخضاع قوى الطبيعة ملقاة على عاتق كل من الرجل والمرأة معاً بالتساوي دون تمييز أو تفرقة، فمضمون كلمة أخضعوها يشمل بكل وضوح النصرة الأكيدة في صراع الإنسان ضد كل القوى الطبيعية المضادة التي على الأرض، بل ويتعداها حتماً إلى كل ما ينشأ مستقبلاً من قوى أخرى مضادة للإنسان. والقول الإلهي هذا يتضمن عدة حقائق مهمة بل هي في غاية الأهمية، وهي:

أ- عدم تمييز الرجل عن المرأة في عملية إخضاع القوى المضادة مهما كان مصدرها ومهما كانت صعوبتها.

ب- والحقيقة الثانية هي أن ضمان النصرة في إخضاع الإنسان لأية قوى مضادة أو معاكسة يتوقف على التعاون والانسجام، بل على الاتحاد بين الرجل والمرأة وليس على اعتبار أن الرجل هو الأكثر كفاءة في مقاومة الطبيعة المعاكسة كما يرى البعض. فدور المرأة سيظل مساوياً لدور الرجل تماماً من حيث المسئولية حسب أمر الله.

جـ- إن العامل المساعد للنصرة على قوى الطبيعة هو انسجام الفكر والإرادة بين الرجل والمرأة معاً وليست القوة الكامنة في ذراع الرجل كما يقولون، أو وضع الرجل في المقدمة. فالقوة ما أرخصها اليوم في عصر التحضر العلمي والتي يمكن أن نحصل عليها عندما نضغط على زرار بسيط في الآلة الحديثة(٣).

(٥) السلطان المعطي بالتساوي للرجل والمرأة معاً:

فهو سلطان واحد غير مجزأ على كل ما في السماء والأرض والبحر. وهكذا يتضح هنا أن حقوق كل من الرجل والمرأة تقوم أساساً على التساوي المسبق في سلطان واحد موهوب لهما معاً. ولذلك لا يمكن قصر أي تفوق في السلطان على أي من الرجل أو المرأة في أي ميدان من الميادين التي أعطى للإنسان أن يتسلط عليها. ولا يمكن لهذا السلطان الإلهي الممنوح أن ينفرد به الواحد دون الآخر وإلا بطل هذا السلطان عن أداء مهامه.

(٦) في الخليقة المرأة هي المعين النظير للرجل:

عندما خلق الله حواء من ضلع آدم خلقها "معيناً نظيره" (تك ٢: ١٨و٢٠)، كلمة نظير تعني الند أو المساوي. وقد قال المفسر العظيم متى هنري بهذا الشأن

إن المرأة لم تخلق من رأس آدم لكي لا تتسلط عليه ولا من رجليه حتى لا يدوسها بقدميه وإنما أخذت من جنبه لكي تكون مساوية له، من تحت ذراعه لكي تكون قريبة من قلبه وموضوع حبه وتحت حمايته، فهي نفسه الثانية التي أحضرها الله إليه بنعمته.

ومن المهم أن نفهم جيداً المقصود بالكلمة معين، فالمعين هو الشخص الذي يساعد المحتاج للمعونة. وقد استخدمت هذه الكلمة عن يهوه كمعين في قول الوحي "أنفسنا انتظرت الرب. معونتنا وترسنا هو" (مز ٣٣: ٢٠). والقول "طوبى لمن إله يعقوب معينه ورجاؤه على الرب إلهه" (مز ١٤٦: ٥). والقول عن موسى ".. لأنه قال إله أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون.." (خر ١٨: ٤). وعلى ضوء هذا يكون الرجل هو المحتاج. وكلمة معين يمكن استخدامها للرجل والمرأة على السواء، وهي لا تدل على درجة أو دور أعلى أو أدنى، فكل الأعضاء في الجسد الواحد تحتاج إلى بعضها البعض[٤]. وبالإضافة إلى ذلك ما يجب أن نعي له ونفهمه جيداً هو أن آدم الأول الذي توفرت له كل مطالب الحياة بل نعيم جنة الله وما ملكه من سلطة وسلطان لنرى أنه من العجب العجاب أن آدم أحس في نفسه بأنه في احتياج إلى وجود أنيس يؤنس وحدته. ودليلنا على ذلك قصة الخلق التي تقول تلك الكلمات الصادقة: (وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره). ألا ترى معي يا عزيزي القارئ أن كل نعيم جنة الله في عدن لم يغن آدم عن وجود حواء بل نراه يشتاق إلى وجودها؟ بل إن إرادة الله ذاتها هي التي أودعت في قلب آدم تلك الأشواق إلى وجود حواء الزوجة ليطمئن قلبه ويسكن إليها.

لهذا نجد القول العجيب الصادق (فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم). ونجد أن آدم قد أجريت له أول عملية جراحية قام بها الطبيب الأعظم جل شأنه وعلت قدرته. فإذا وقفنا قليلاً لنتساءل في عظمة وقدرة وحكمة الخالق فإننا لا يسعنا سوى أن نهتف بكل قلوبنا، ونقول معاً ما أعظم أعمالك يا الله، وما أعمق أفكارك، فكلها بحكمة قد صنعت. فإن آدم حينما استيقظ من سباته تهلل ورقص قلبه طرباً، وقال هذه الآن عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرئٍ أخذت. وهذا هو أساس اسمها لأنها من امرئٍ هو آدم الإنسان الأول، فبعد أن خلق الله آدم من تراب الأرض خلق تلك المرأة بهذه الصورة الرائعة.

فلقد كان في قدرته غير المحدودة أن يخلقها أيضاً من تراب الأرض، كما خلق آدم سابقاً لها. وليس معنى ذلك إنني أقصد أنها من طينة مخالفة أو أنها ليست من تراب بل هي من آدم وآدم من تراب فهي إذن من تراب، ولكن لو سأل كل واحد منا نفسه لأدرك ولو قليلاً في حكمة الخالق جل شأنه في سر خليقة حواء من ضلع آدم لنرى حكمة الله التي تتجلى في أروع وأكمل وأجمل صورة. فالمعروف أن الأضلاع هي الحامية للقفص الصدري في جسم الإنسان وهي في أعلى جسم الإنسان وأسفل رقبته أي هي المحيطة بالقلب والرئتين. وهنا نتعلم الدرس الذي نتناساه في أحيان كثيرة بل وهنا نرى الحكمة التي لا تراها إلا عين الإيمان لندرك لماذا لم يخلقها الله من رأسه والجواب لئلا تتعالى عليه وهذا غير

موجود في خليقة الله(٥).

(٧) في الخليقة الجديدة الجميع واحد في المسيح:

في الخليقة الجديدة بعمل نعمة المسيح في حياة المؤمنين ألغى الرب كل تمايز بين الرجل والمرأة، ولذلك شدد الرسول بولس على أن في المسيح لا فرق إذ يقول: "ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع" (غل ٣: ٢٨). وهنا لا يقول: "رجل وامرأة، بل ذكر وأنثى" قاصداً في ذلك إلغاء الأسباب التي فرقت بين الرجل والمرأة بسبب الجنس. ويعود بولس الرسول في موضع آخر ليؤكد التساوي المطلق والمتبادل في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة في الحياة المسيحية بقوله : "غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب. وكما أن المرأة من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة ولكن جميع الأشياء هي من الله" (١كو ١١: ١١و١٢).

وإيضاح هذه الحقيقة يتمثل في عمل الله في الإنسان بالروح القدس لنواله الحياة الجديدة، فعندما ينال الإنسان الحياة الجديدة يتغير في طبيعته وحياته أمران أساسيان.

الأمر الأول: يتمثل في القوة الذاتية، فبدلاً من أن يفكر دائماً في أن ينسب المجد لذاته وأنه مصدر كل قوة للإنجاز ينسبها بعد الولادة الجديدة لله. ولذلك يقول الرسول بولس ".. إن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا.." (في ٢: ١٣). وذلك عن طريق سكنى الروح القدس داخل القلب لقيادة الإنسان وإرشاده وتعليمه.

والأمر الثاني: هو الهدف الذي يعيش له الإنسان وطموحاته، فهو يتغير بنوال الحياة الجديدة كما أوضح الرسول في قوله: ".. كي يعيشي الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام" (٢كو ٥: ١٥). ويصير هدف الإنسان الأول بدلاً من أن يكتب عظمته بالمجد الباطل بل ليكتب سيرته في السماويات التي منها المخلص (في ٣: ٢٠).

وبالتالي عندما يصير الله هو مصدر القوة الحقيقية للإنسان عموماً (أف ١: ١٩، أف ٣: ٧ و١٦ و٢٠، أع ١: ٨)، فهنا تبطل حجة الرجل بامتلاك حقوق تفوق على المرأة عن طريق القوة وتصبح المرأة بالروح القدس في وضعها المسيحي الجديد بعد الولادة الثانية مساوية تماماً للرجل في كل ما يخص بناء الإنسان الكامل الجديد ويكمل العمل لاستعلان ملكوت الله "لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح". (أف ٤: ١٢ و١٣). وبالطبع قامة ملء المسيح لا يوجد فيها حديث عن الذكر والأنثى لكن يوجد إنسان واحد كامل وهو الكنيسة جسد المسيح المتكامل.

(٨) حلول الروح القدس علي الرجال والنساء معاً:

عندما حل الروح القدس يوم الخمسين ومنح مواهب كثيرة للخدمة لم يحل على الرجال فقط لكنه حل على المتعبدين من الرجال والنساء (أع ١: ١٤). وقد اشترك الرجال والنساء معاً في الصلاة والشركة وكسر الخبز (أع ٢: ٤٢). وعندما منح الروح القدس مواهبه في ذلك اليوم منحها للجميع دون تفرقة كما يتضح من أقوال

كل من الرسول بولس والرسول بطرس في الشواهد الكتابية التالية (١كو ١٢ و١٤، أف ٤: ٧-١٦، ١بط ٤: ٧- ١١، رو ١٢: ١-٨).

(٩) عقيدة كهنوت جميع المؤمنين تؤيد التساوى المطلق بين الرجل والمرأة:

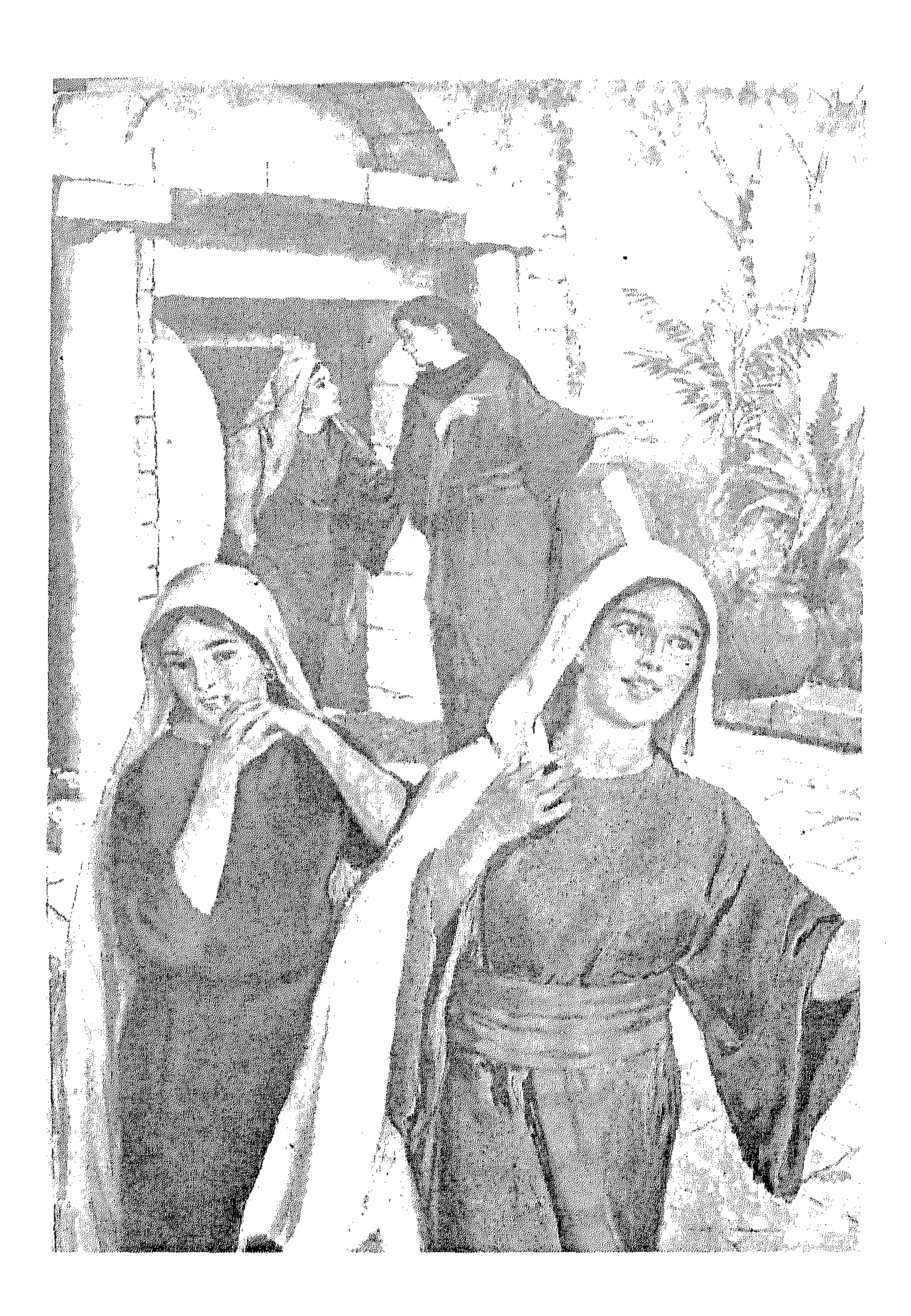
عقيدة كهنوت جميع المؤمنين هي عقيدة متسعة ويطول الحديث كثيراً عنها، إلا أننا نقول إنها تعرّفنا أن جميع المؤمنين هم أعضاء في جسد المسيح وكل المؤمنين صاروا باسمه ملوكاً وكهنة لله أبيه، فهذا الامتياز المرتبط بهذه العقيدة ليس قاصراً على الرجال فقط ولكنه لكل مؤمن رجل كان أو امرأة. تحقيقاً لوعد الله الذي سكب روحه على كل بشر ليتنبأ البنون والبنات والعبيد والإماء (أع ٢: ١٧ و١٨). والرسول بطرس يوضح ضمن أقواله في الرسالة الأولى أن جميع المؤمنين وهم الرجال والنساء معاً يقول لهم: "وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب الذين قبلاً لم تكونوا شعباً وأما الآن فأنتم شعب الله الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون" (١بط ٢: ٩ و١٠). وفي سفر الرؤيا يقول يوحنا الرائي: "الذي أحبنا وغسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين" (رؤ ٥: ٩ و١٠).

وعقيدة كهنوت جميع المؤمنين تعطى أحقية لكل مؤمن في الاقتراب إلى الله مباشرة (عب ٤: ١٤-١٦). وتقديم الذبائح الروحية إلى الله مباشرة (رؤ ١٢: ١، في ٢: ١٧، ٤: ١٨، ١بط ٢: ٥). كما أن هذه العقيدة تعطي أحقية الوعظ بالكلمة

لجميع المؤمنين (٢بط ٢: ٩). وأيضاً ممارسة الفرائض المقدسة معاً (مت ٢٨: ١٩، لو ٢٢: ١٩). وغير ذلك.

الفصل الثالث

المرأة نبية



هناك أحاديث كثيرة عن المهام التي يقوم بها النبي نحن لا نتشعب فيها، فنحن هنا نرى أن الدور الرئيسي الذي يقوم به النبي هو توصيل الرسالة المكلف بها من الله للناس، وهذا يتضح من قول كاتب الرسالة إلى العبرانيين (عب ١: ١ و٢): "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه.. وقد شرَّف الله المرأة أن تقوم بهذه الوظيفة العظيمة في العهد القديم وفي العهد الجديد تطبيقاً لوعد الله الذي قال على فم يوئيل النبي: ".. إني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى" (يوئيل ٢: ٢٨).

وبالفعل عندما جاء يوم الخمسين وحلَّ الروح القدس على الجميع بنين وبنات وأوضح بطرس الرسول في عظته للناس أن ما حدث من عمل الروح القدس هو تطبيق لقول الرب في نبوة يوئيل إذ قال لهم: "بل هذا ما قيل بيوئيل النبي. يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً" (أع ٢: ١٦-١٨). ونحن عندما نتأمل في الكتاب المقدس بعهديه نجد عدة من الشخصيات النسائية أعطاها الرب الشرف أن تقوم بهذه الخدمة العظيمة.

(١) مريم النبية:

وهي الشخصية التي يتحدث عنها الوحي الإلهي في سفر الخروج قائلاً: "فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف الذي بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهم مريم رنموا للرب فإنه قد تعظَّم الفرس وراكبه طرحهما

في البحر" (خر ١٥: ٢٠-٢١).

كانت مريم هذه أولى مريمات الكتاب المقدس والأم في إسرائيل والأخت الكبرى لموسى وهارون، تمتعت هذه المرأة بصفات كثيرة في مجال الخدمة.

ونحن لا نشير إلى خدمتها هنا، لكننا نشير إلى جانب واحد وهو عملها كنبية. فقد كان وجودها في ذلك العصر عنصراً هاماً في تحرير شعب الله وخروجه من أرض الاستعباد. فهي الفتاة التي سارت معه حانية عليه في طريق الظلمة والنور والكفاح والحرية، وهي الفتاة التي سارت أمام الشعب حتى وصلت مع أخويها موسى وهارون إلى مشارف أرض كنعان الموعود بها.

(٢) دبورة النبية:

وهي التي يخبرنا عنها الوحي في سفر القضاة قائلاً: "دبورة امرأة نبية زوجة لفيدوت هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت وهي جالسة تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل في جبل أفرايم. وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء" (قض ٤: ٤ و٥). فقد قامت بدورها النبوي في عصر المأساة والنكبة. العصر الذي ليس من السهل على الإنسان أن يبصر فيه ما قد يحيط به الظلام من كل جانب. لكن هذه المرأة كانت نبية اخترقت عيناها الحجب الكثيفة لترى رؤى الله مفتوحة العينين مكشوفة الحجاب. وقد وصلت إلى الرؤيا لأنها كانت امرأة نقية قريبة من الله في أرض الاعوجاج والشر. فكانت لها هذه الشفافية لترى ما هو خلف المنظور الذي لا يرى، وطوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله. ونلاحظ هنا أن أول أوصاف دبورة أنها نبية، وتعتبر هي ثاني نبية يذكرها الكتاب المقدس بعد "مريم

النبية" أخت موسى وهارون. وقد كانت هي النبية الوحيدة خلال أربعة قرون بين قضاة إسرائيل، وكان من المستحيل أن تظهر على المسرح إلا بعد اقتناعها واقتناع الشعب بصوت الله الذي جاء إليها. وليس في الكتاب ما يفصح عن النبوات التي تنبأت بها فيما عدا إعلانها لباراق عن دعوة الله له ليقود المعركة. غير أنه من الواضح أن الشعب آمن بها لكي تحمل رسالة الله وأن صوت الله في فمها وأن قوتها الحقيقية، وشجاعتها الفائقة لم تكن كلتاهما صادرتين من مجرد استعداد طبيعي في كيانها البشري، بل ليقينها الكامل بأنها مدعوة من الله لغاية مقدسة. هذا هو الأمر الذي نطلق عليه في لغة الإيمان المسيحي بالدعوة العليا[١].

(٣) حنة أم صموئيل النبية:

وحنة هو اسم عبري معناه حنان أو نعمة. ويذكر لنا الوحي الإلهي أكثر من شخصية بهذا الاسم من النساء وعادة يختلط الأمر عند البعض من الناس، فيخلطوا بين هذه المرأة حنة أم صموئيل وبين حنة النبية بنت فنوئيل التي هي من سبط أشير والتي يذكرها الوحي في بشارة القديس لوقا (لو ١١: ٣٦ و٣٧). والتي سنتكلم عنها لاحقاً. لذا ونحن في بداية حديثنا عن هذه الشخصية العظيمة نرى لزاماً علينا أن نتعرف عليها جيداً، فلا يختلط الأمر بينها وبين غيرها أو يحدث أي لبث بشأنها فحنة أم صموئيل هي إحدى زوجتي ألقانة ابن يروحام من رامتايم صوفيم في جبل أفرايم (١صم ١: ٢). ومع أنها كانت الزوجة الأثيرة عند زوجها إلا أنها كانت عاقراً، وكانت فننة تغيظها غيظاً شديداً إذ كان لفننة أولاد. وكانت حنة تصعد مع زوجها كل سنة إلى شيلوه، حيث كانت خيمة الاجتماع

للسجود وتقديم الذبائح. وظلت تصلي للرب بلجاجة ودموع ليعطيها ابناً، ونذرت نذراً "إنه إن نظر الرب إلى مذلتها وأعطاها ابناً فإنها تعطيه للرب كل أيام حياته، فسمع الله لطلبتها وأعطاها ابناً دعته (صموئيل) أي الله يسمع. وعندما فطمته أخذته إلى شيلوه تنفيذاً لنذرها، وتركته في خدمة عالي رئيس الكهنة" (١صم ١). وافتقدها الرب بعد ذلك فأعطاها ثلاثة بنين وبنتين (١صم ٢: ٢١). وكانت حنة تعمل لصموئيل جبة صغيرة كل سنة وتأخذها له معها عند صعودها مع رجلها لتقديم الذبيحة السنوية، وهنا نرى صورة حية نابضة بعواطف الأمومة الصادقة (١صم ٢: ١٩). ولقد كانت حنة نبية ذات موهبة فذة كما يبدو ذلك في أنشودتها الرائعة التي ترنمت بها تعظيماً للرب على عطيته والتي يتردد صداها في ترنيمة العذراء مريم (لو ١: ٤٦-٥٠)[٢].

النبية التى نالت عناية الكثيرين من الكتّاب

وقد نالت حنة من عناية الكتّاب ومفسرو الكلمة الإلهية والوعاظ ما لم تنله إلا القليلات من النساء. وقد نلقى نظرة على ما قيل عنها نشعر أننا نرى لا امرأة واحدة بل عدداً كبيراً من عظيمات النساء. فهذه المرأة الجميلة أحبها زوجها بالرغم من عقمها، وفضّلها على أم أولاده، فهذه هي المرأة الهادئة التي لا تصيح ولا تصرخ ولا ترفع في الشارع صوتها، مزينة نفسها بالروح الوديع الهادىء الذي هو عند الله كثير الثمن. وهذه هي المرأة التقية المواظبة على حضور بيت الله، وهذه هي امرأة الصلاة الحقيقية. وهذه هي المرأة المتواضعة التي لا تثور أمام الإهانة الظالمة. وهذه هي المرأة التي تحسن الخلوة مع الله.

النبية التى أشبعت قلب الله بصلاتها

وكانت حنة أم صموئيل المرأة المصلية بصلاتها التي أشبعت قلب الله. الصلاة النابعة من القلب وليست الصلاة الشكلية التي هي مجرد ترديد كلمات لا تصعد فوق مستوى رؤوس الناس. فالكتاب المقدس لم يذكر صلاة نظير صلاة حنة غير صلاة يسوع الذي لا يجوز أن توجد مقارنة بين صلاته وصلاة أي إنسان آخر. على أنه يجوز لنا أن نذكر أن صلاة حنة كانت من نفس الفصيلة. كان السيد يصلي بقلبه. كان قلبه ينزف دماً. كانت صلاته لا كلاماً من شفتيه ولكن من قلبه. كان هو نفسه صلاة. كذلك كانت صلاة حنة حيث كانت شفتاها تتحركان. كان قلبها يقطر مرارة. إنها لا تتحدث عن مطلب ولكنها تسكب قلبها أمام الله. إنه يعرف بلا شك ما تعبر عنه هذه المرأة. ولن يحتقر المنسحق بل سيكرمه ويسمع له[٣].

النبية التى انشغلت بإصلاح المجتمع

كانت حنة هي الأم التي فكرت أن تجد ابناً لا لنفسها ولا لزوجها ولا لأسرتها الصغيرة. بل اشتاقت أن تلد ابناً لله والأسرة الكبيرة، انشغلت بولادة مخلِّص. لم تكن تعيش في محيطها الضيق بل عاشت في محيطها الأوسع. هذه الشخصية تقدم لنا صورة للمرأة التقية التي كانت مهتمة بالإصلاح العام. فالحقيقة أن كثيرين يحلمون أن يتاح لهم أن يعطوا قوى خيالية تساعدهم على تنظيم العالم كله، لكن القليلين هم الذين يستغلون ما عندهم من مواهب وملكات، ويقدمون وزناتهم لعلاج كل وباء منتشر حولهم.

الحقيقة أن حنة كانت تصلي إلى الله وهي مشغولة بقلبها على ما وصل إليه المجتمع من حولها من فساد، فانشغلت بالإصلاح كما انشغل المسيح معبراً عن ذلك في صلاته للعالم المسكين، العالم الذي قتلته الخطية وسيطر عليه عدو الخير. إنه يصلي ليقدم ذاته ليكون مخلصاً لهذا العالم ببذل نفسه. وحنة بالطبع لم تصل إلى ما وصل إليه السيد لكنها وقفت تصلي في بيت الله وهي تبصر بعين الإيمان ما وصل إليه شعبها من الفساد. ففي أسرتها الصغيرة كانت ضرتها لا تشفق عليها ولا ترثي لجرحها ولكنها بكل شرها وقساوتها تحاول أن تسمم ذلك الجرح. فإن حنة لا تنظر إلى مسلك ضرتها كخطية فردية لكنها تبصر فيها شراً عاماً. فهي ترى ذلك الشر كأنه موجود في كل مكان، في كل بيت توجد فيه فتنة تعكر صفو البيت وتحوِّل السعادة فيه إلى نكد وغم. بل في نفس بيت الله وجد الشر له عرشاً. فقد استهان كل الشعب بالذبيحة والعبادة ورؤساء الدين الذين كانوا عنواناً لذلك، بل كانوا أشر من الشعب. فقد أساء الكهنة إلى الله وإلى المذبح والذبيحة. فتقدموا نحو المذبح وهم سكارى بل زاد فجورهم وارتكبوا أشرَّ ما يرتكبه السكيرون. نعم كانت هناك حاجة ملحة إلى حنة المرأة التقية التي تتطلع إلى عالم نقي نظيف فكانت صلاتها أن يعطيها الله ابناً يعمل على إصلاح هذا المجتمع الفاسد. وكانت صلاتها لا لمجد ذاتها فكأنها تقول ليس لنا يا رب ليس لنا لكن لاسمك نعطي مجداً. إنها صلاة الانشغال بالغير.

النبية المذكورة ضمنا فى الوحى الإلهى

يأتي السؤال: كيف نقول عن هذه المرأة إنها نبية بينما لم يذكر الكتاب المقدس

عنها ذلك؟ والجواب هو أن تسبيحتها هي نبوءة، لأن حنة رأت فيها ما سيحدث في ملكوت الله في كل العصور، وفي غلبتها على ضرتها مثال انتصار جميع المتكلين على الرب. وفي هذه التسبحة إشارة إلى المسيح الذي اتضع ليرتفع، وإلى كنيسته الصغيرة الضعيفة في بدايتها التي نمت وامتدت وصارت ممالك العالم للمسيح. ونرى حنة لم تتكلم إلا قليلاً في شأنها الخاص ولكنها تكثر الكلام في أمور الله الجامعة. خلاصة كلامها أن الخلاص من الرب وحده وهو موضوع تسبيحتها فليس مثله في القداسة والقدرة وعلى المفتخرين أن يسكتوا أمامه، وهو يعرف أفكارهم ومقاصدهم وهو الملك القدير العادل الذي يضع المتكبرين ويرفع المتواضعين المتكلين عليه، فيقهر أعداءه ويدين العالم ويقيم ملكوت مسيحه. انظر تسبيحة مريم العذراء (لو ١: ٦٤-٥٥) والمشابهة بينها وبين تسبيحة حنة في الناس والموضوع أكثر مما في الألفاظ. ولا عجب في ذلك لأن مريم شابهت حنة في إيمانها وتقواها وأحوالها. انظر أيضاً (مز ١١٣)(٤).

(٤) حنة بنت فنوئيل النبية

وهي التي يتكلم عنها الوحي بلسان البشير لوقا في قوله عنها: "وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيام كثيرة.." (لو ٢: ٣٦). وحنة معناها حنان وهي نبية مثل مريم ودبورة قديماً وعشيرتها من سبط أشير، وهي بنت فنوئيل من إحدى العائلات التي جاءت قديماً إلى أورشليم لتحفظ الفصح استجابة لنداء حزقيا الملك قبل سبي العشرة أسباط بستة أعوام (٢أخ ٣٠: ١-١١). أي قبل ميلاد السيد المسيح بمدة تزيد عن ٧٠٠ عام. هذه النبية تعودت على

العبادة الهادئة في الهيكل، ونحن لا نعرف سوى ما كتبه عنها لوقا في هذه الأعداد. كما يتضح لنا أن حياتها كانت حياة التعبد المستمر، فلقد قضت زهرة حياتها في بيت الله مع شعبه، ولم تكفّ عن الصلاة في السر والجهر، فالصلاة الانفرادية قوية والجهرية عظيمة أيضاً. وقال أحدهم إن الذين يصلون صلاة قوية بانفراد هم الذين يستطيعون أن يصلوا صلاة حارة مع بعضهم. وهذا هو سر إيمان حنة غير المتزعزع إذ كانت على اتصال دائم بالله مصدر كل قوة. وهكذا تعلمنا حنة النبية الدرس أننا لو كنا على صلة دائمة بالله فلابد أنه يخلق من نقاط الضعف في حياتنا حصوناً وقلاعاً قوية. هذه النبية هي الأرملة المنكوبة التي سمعت كلام سمعان الشيخ عن المسيح فامتلأ صدرها بابتهاج ونسيت أنها أرملة وجعلت تسبح الله وتخبر عن السيد المنقذ الذي حقق وسيحقق انتظارات المنتظرين(٥).

(٥) خلدة النبية

اسم عبري معناه الخلد أو ابن العرس وهي امرأة شالوم ابن تقوة بن حرحس حارس الثياب (٢مل ٢٢: ١٤، ٢أخ ٣٤:٢٢). وكانت نبية تعيش في القسم الثاني من أورشليم (انظر صفنيا ١: ١٠)، وعندما وجد حلقيا الكاهن العظيم سفر الشريعة في الهيكل أعطاه لشافان الكاتب الذي قدمه للملك يوشيا فلما سمع الملك كلام الشريعة مزق ثيابه وأمر حلقيا الكاهن وشافان الكاتب وآخرين بالذهاب إلى خلدة النبية لتسأل الرب، فتنبأت بالشر الذي سيجلبه الرب على أورشليم وسكانها لأنهم تركوا الرب وأوقدوا لآلهة أخرى. ولكنها أردفت بالقول "أمام ملك يهوذا

(يوشيا) من أجل أنه رق قلبك وتواضعت أمام الرب حين سمعت ما تكلمت به على هذا الوضع وعلى سكانه.. ومزقت ثيابك وبكيت أمامي.. لذلك هأنذا أضمك إلى آبائك فتضم إلى قبرك بسلام ولا ترى عيناك كل الشر الذي أنا جالبه على هذا الموضع" (٢مل ٢٢: ١٤-٢٠، ٢أخ ٣٤: ٢٢-٢٩)[٦].

وهناك نلاحظ أمرين هامين:

(١) أن يوشيا أرسل إلى خلدة النبية ولم يرسل إلى إرميا النبي الذي كان معاصراً لها. أي أرسل إلى امرأة ولم يرسل إلى الرجل في حين أن إرميا كان من أعظم أنبياء الله في عصره.

(٢) تنبأت خلدة بأن يوشيا سيمضي إلى قبره بسلام ولكنه قتل في الحرب عندما خرج لاعتراض طريق نخو ملك مصر. ولكن إذا رجعنا إلى نبوة خلدة نجد أنها قصدت بنبوتها أن يوشيا سيموت ويدفن في قبره قبل وقوع الكارثة القادمة، وأنه لن يراها بعينيه. وهذا ما تحقق فعلاً في أيام أبنائه (٢مل ٢٣:٢٩ و٣٠، ٢أخ ٣٥: ٢٠-٣٤).

(٦) بنات فيلبس الأربع النبيات

يقول البشير لوقا كاتب سفر الأعمال عن بنات فيلبس: "وكان لهذا أربع عذارى كن نبيات" (أع ٢١: ٢). وكونهن عذارى فهذا علة وجودهن في بيت أبيهن، ولو كن متزوجات لكن في بيوت رجالهن فلا علاقة بين كونهن عذارى وكونهن نبيات. ولا ذكر في العهد الجديد ولا في كتب المسيحيين الأولين لكون العذارى رتبة من الرتب الدينية "وكن يتنبأن". فالظاهر أنهن كن نبيات في البيت مع الأفراد من النساء

والرجال لا في مجتمعات العبادة الجمهورية وكان تنبؤهن تطبيقاً لقول النبي "يتنبأ بنوكم وبناتكم" (يوئيل ٢: ٢٨).

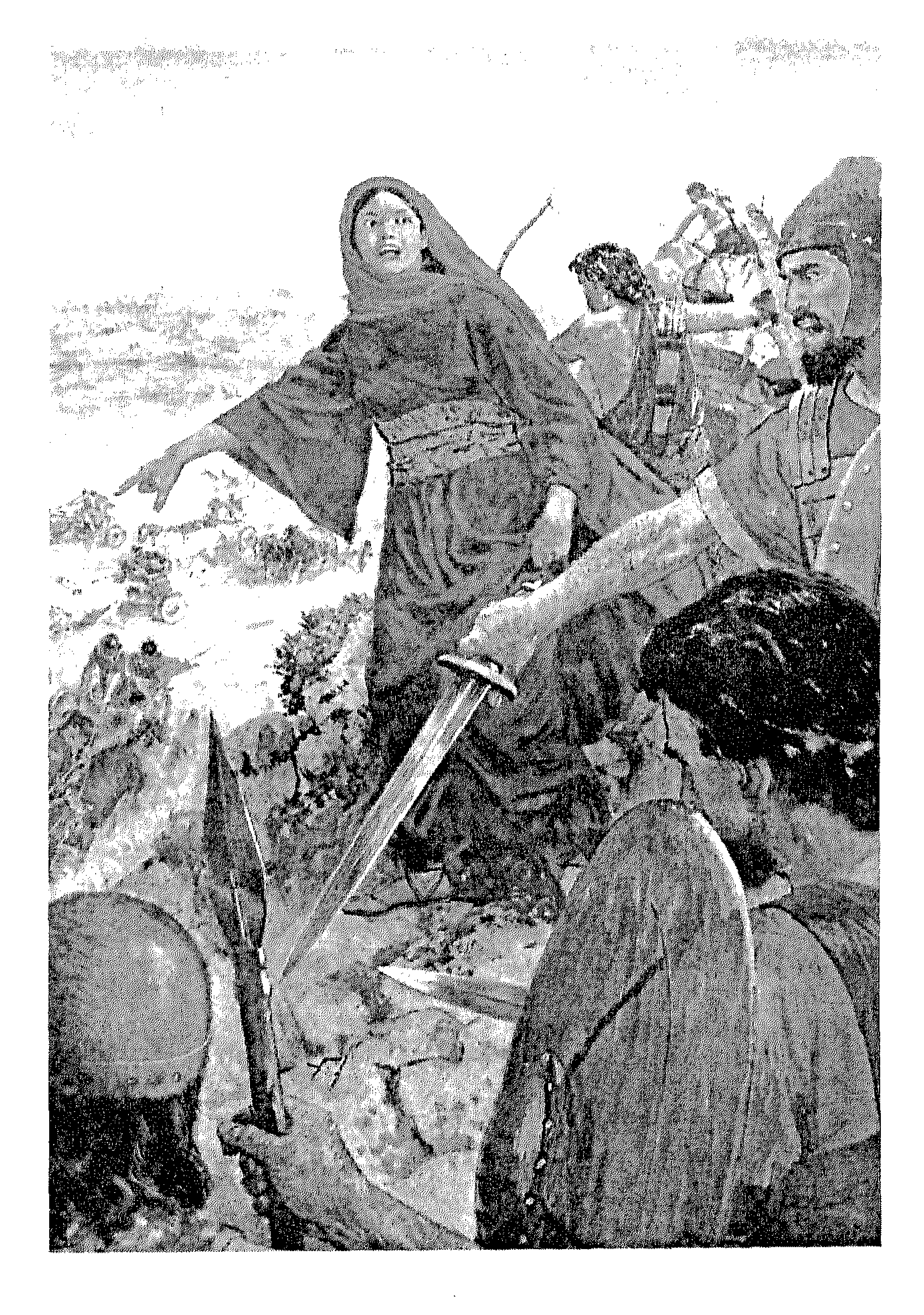
(٧) الرسول بولس وتاييده لنبوة المرأة

يقول الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس "وأما كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها" (١كو ١١: ٥). واضح جداً هنا أن الرسول بولس لا يمانع على الإطلاق أن المرأة يمكنها أن تصلي أو تتنبأ أثناء العبادة الجمهورية، لكن ما ينصح به هنا هو غطاء الرأس. وقد كان لظروف خاصة جداً ليس المجال الحديث عنها الآن لكننا سنتكلم عنها في جانب آخر.

كما أن كلامه في رسالته إلى أهل أفسس عن عطايا الروح القدس الخاصة بالخدمة فقد أعطاها للجميع الرجال والنساء بدون أي تفرقة أو تمييز، فقال: "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء (لم يقل الرجال أنبياء) والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح، (أف ٤: ١١ و١٢). ولم يقل أبداً: أعطى الرجال هذه المواهب والخدمات السابق ذكرها والتي من ضمنها النبوءة. ولم يقل تميز الرجال على النساء بهذه الخدمات أو ببعضها لسبب أو لآخر. لكنه يوضح بأن هذه العطايا والمواهب للجميع بدون أي تفرقة على الإطلاق.

الفصل الرابع

المرأة قائدة بين الرجال



القيادة في المفهوم المسيحي

القيادة في المفهوم المسيحي لها معنى خاص، ففي المفهوم العالمي فإن القيادة تهدف إلى التسلط والحصول على منصب مرموق وكرس عال. أما الغاية من القيادة المسيحية هي الإتيان بكل نفس إلى علاقة حية وثيقة مع الله، لذلك يجب أن يكون القائد المسيحي إنساناً مملوءاً من الإيمان (أع ٦: ٣ و٥، ١١: ٢٤)، قادر على أن يقود الآخرين إلى معرفة المسيح معرفة اختبارية حتى يعرفوا كيف يعبدون الله عبادة حقيقية، وكيف تكون لهم شركة قوية معه، كما عليه أن يرشد ويتخذ القرارات الصحيحة البناءة (أع ١٥: ٢، ٦-٣٠)، وأن يدافع عن الإيمان (تي ١: ٩و يه ٣، أع ٢٢- ٣١)، وأن ينذر الذين بلا ترتيب، وأن يشجع صغار النفوس، ويسند الضعفاء (١تس ١٥: ١٤). ومن الجانب الآخر يجب على القائد أن يكون خادماً (مت ٢٠: ٢٦ و٢٧). فالقيادة في المسيحية معناها الخدمة والرعاية الحبية وليست السيادة أو التسلط أو المنفعة الذاتية. فالقائد عليه أن يحب الناس وأن يعرف كل فرد في القطيع معرفة شخصية، وأن يمنح كل واحد منهم اهتمامه وعنايته لبنيانهم روحياً. لذلك نرى الرسول يمتدح تيموثاوس قائلاً: "لأن ليس أحد آخر نظير نفسي يهتم بأحوالكم بإخلاص. إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم، لا ما هو ليسوع. وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم لأجل الإنجيل" (في ٢: ١٩-٢٣). ويقول الرسول بولس عن نفسه كقائد: "من يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب؟، (٢كو ١١: ٢٩). كما يقول لأهل كنيسة تسالونيكي: "بل كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها وهكذا إذا

كنا حانّين إليك. كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لأنكم صرتم محبوبين إلينا. أنتم شهود الله كيف بطهارة وبر وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين. كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده" (١تس ٢: ٧-١١).

وقد شرف الرب المرأة أن يكون لها دور قيادي بين الرجال في خدمة الرب ليس فقط في دور نبوي أو وعظي أو مجال ترنيم أو غير ذلك، لكن يتضح أن لها دوراً قيادياً واضحاً متميزاً. وقد يتساءل البعض هل من حق المرأة أن تأخذ المراكز القيادية منفردة أو مشاركة مع الرجال في كل ميدان، وهل يشجع الفكر المسيحيَ مثل هذا الاتجاه. فأياً كانت الأفكار المختلفة والمتباينة في الإجابة على هذا السؤال فمما لا شك فيه أن هناك ظاهرة تستدعي الالتفات أنه بدراسة الوحي والتاريخ المقدس نجد الكثير من الشخصيات غير العادية من النساء كن يظهرن في وقت الأزمات والشدائد. وليس هذا بالغريب سواء نظرنا إلى الظاهرة من خلال التفكير الديني أو الاجتماعي على حد سواء، فمن الوجهة الدينية هناك قاعدة أكيدة ثابتة أنه إذا كان البشر يفاجأون لمحدودية نظرهم وأعمارهم بهذه الصورة أو تلك من أزمات الحياة فحاشا لله أن يفاجأ على الإطلاق بأية أزمة بل إنه في عنايته الشاملة يعد للأزمة أبطالها من الرجال والنساء الذين ينسجهم في بطن الزمن أو التاريخ ليظهروا في اللحظة المناسبة. وفي وقت الرقيق ألم يكن الله هو الذي أعد الكثير من البطلات والشهيدات في أقصى عصور الاضطهاد والآلام ليكتبن أروع ما يمكن أن يكتب من سطور العظمة والمجد، وإذا نظرنا لهذه الظاهرة من الناحية النفسية فإن العلماء يخبرونا بأن الضغط يولِّد الانفجار

والآلام تصنع البطولة والشدائد تخلق أنبل الناس وأعظمهم وأقواهم على الإطلاق.

ولعل عيون الكثيرات من أصحاب النفوس النبيلة عندما تفتحت على تعاسة الآخرين وآلامهم كانت أشبه بعيني السامري الصالح وهو يرى المنكوب الجريح على حافة الطريق الذي كان يسير فيه.. وفي مثل هذه الأزمات لا يهم عند الله أن يستجيب لندائه رجل أو امرأة، فإن لم يجد الرجل سيجد المرأة التي تقف في الثغر فتشد وتعضد وتداوي وتعالج وتقود. فهي التي تكون قريبة إلى إرادة الله وقلبه وتتحرك للخدمة المقدسة إذا كان الرجل غارقاً في هوانه أو ضعفه أو مشغولاً بما هو تافه أو حقير من أوضاع هذه الحياة. وهذا ما كان عليه الرجال اليهود في عصر القضاة إذ تركوا الرب إلههم الحي الحقيقي ليعبدوا آلهة حديثة وانحطوا إلى أبعد حدود الانحطاط دينياً وأدبياً واجتماعياً فانفصل عنهم وتركهم لينالوا ما وصلوا إليه من ضيق واستعباد وآلام وتعاسات، ومن ضمن النساء اللاتي نلن شرف القيادة هن:

(١) مريم أخت موسى وهارون:

ونظرتنا هنا لهذه المرأة باعتبارها لها دور قيادي وسط الرجال، وقد نظرنا إليها قبل ذلك من زاوية أخرى باعتبارها نبية فهي المرأة التي خاطب الله الشعب الإسرائيلي عن طريقها وقال لهم "أرسلت أمامك موسى وهارون ومريم"، فهي لم تكن في مؤخرة الشعب أو في وسط الشعب، لكنها كانت أمام الشعب في موقع القيادة، ولم تكن خلف موسى أو هارون أخويها لأنها امرأة لكنها كانت معهم.

فالله لم يشعرها أنها أقل منهما في أي شيء على الإطلاق. ولم يميزها عنهما أيضاً، لكن وضع الثلاثة في مكان القيادة. وقد قادت الشعب في موسيقى النصر بفرح أمام الشعب.

(٢) دبورة القائدة:

ونظرتنا هنا لهذه المرأة باعتبار أن لها دوراً قيادياً وسط الرجال. وقد نظرنا إليها قبل ذلك باعتبارها نبية، فهي المرأة القديرة التي دعت باراق الرجل بن أبينوعم ليقود المعركة لكنه تراجع واشترط أن تأتي دبورة في المقدمة إلى جواره حتى يصل إلى النصر. والدور الديني الذي قامت به هذه الشخصية يكشف لنا جانباً هاماً في شخصية المرأة، كثيراً ما يفهمه الرجال خطأ. فليس من السهل على إنسان أن يتصور امرأة تقود أو تدفع جيشاً إلى قتال وإن سارت إلى ميدان القتال، لكي تعمل على إيقاف نزيف الدم المنهمر بين المحاربين في أعمال الإغاثة والإسعاف والتمريض. إلا أن الذي يعنينا الآن في هذه المرأة ونحن بصدد التعمق في تحليل شخصيتها مقدار ما كانت عليه من صلابة وشجاعة تستسهل معها الحرب وقعقعة السلاح. فقد كانت على قدر كبير من قدرة الفكر والتهاب العاطفة وجبروت الإرادة وتكامل الشخصية غير العادية التي هي نادرة الوجود.

والحقيقة أن الدراسة المتعمقة لشخصية دبورة كما جاءت في كلمة الله تؤكد بأنها شخصية غير عادية. فقد كانت قاضية مفكرة ومحاربة شجاعة [٢]. وفي نفس الوقت أماً رقيقة. فقد قادت أمتها وقت الأزمات الشديدة وكان العدو في ذلك

المرة هو يابين ملك حاصور وقائد جيشه سيسرا. فدعت دبورة باراق بن أبينوعم من قادش نفتاليم، وسلمته الرسالة الإلهية لمقابلة سيسرا عند نهر قيشون. فألح باراق على دبورة لكي تذهب معه فلبت الدعوة، ولكنها قالت له إن "الرب يبيع سيسرا بيد امرأة" توبيخاً لرجال إسرائيل على تقاعسهم.

"وصعد باراق ومعه عشرة آلاف رجل من زبولون ونفتالي وصعدت دبورة معه. ونشبت المعركة بين باراق وسيسرا عند نهر قيشون، فانهزم سيسرا وسقط كل جيش سيسرا بحد السيف. لم يبق ولا واحد" (قض ٤: ١٦). "وتبع باراق المركبات والجيش إلى حروشة الأمم وأما سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القيني" (قض ١٦ و١٧) بالقرب من قادش. فخرجت المرأة الشجاعة "ياعيل" لاستقبال سيسرا "فمال إليها إلى الخيمة وغطته باللحاف ولما طلب منها ماء ليشرب، أعطته لبناً عوضاً عن الماء، ولما استغرق في النوم "أخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة وجعلت الميتدة في يدها وضربت الوتد في صدغه.. وهو متقل في النوم ومتعب فمات". وقد أشادت دبورة بهذه القصة في نشيدها الذي ترنمت به. وتعتبر هذه الترنيمة من أقدم الكتابات الأدبية العبرية، فهي ترجع إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتذكر الترنيمة خروج الرب من سيناء" يارب بخروجك من سعير بصعودك من صحراء أدوم" (قض ٥: ٤) ليقابل سيسرا لذلك تقول "من السموات حاربوا. الكواكب من حبكها أفلاكها حاربت سيسرا" (قض ٥: ٢٠)، فقد كانت الأمة في ورطة قاسية يهجم عليها ملك جبار، ولم تشأ الأسباط أن تتخلى عن ميولها الانفصالية، فظل بعضها مثل رأوبين وجلعاد ودان وأشير بعيدين، كما

اختصت جماعة تسميها "ميروز" باللعنة لعدم مساندتها للرب "العنوا ميروز قال ملاك الرب، العنوا ساكنيها لعناً لأنهم لم يأتوا لمعونة الرب، معونة الرب بين الجبابرة" (قض ٥: ٢٣). وكان أفرايم ويساكر وبنيامين وماكير وزبولون ممن انضموا إلى باراق". زبولون أهان نفسه إلى الموت مع نفتالي على روابي الحقل" (قض ٥: ١٨).

وتذكر الترنيمة أن المعركة نشبتْ "في تعنك على مياه مجدو" وأن نهر قيشون جرف جيوش سيسرا (قض ٥: ١٩ و٢١) وتخطى ياعيل امرأة حابر القيني المديح الواجب لعملها البطولي (قض ٥: ٢٤). وترسم الترنيمة صورة حية لانتظار أم سيسرا عودة ابنها القائد منتصراً (قض ٥: ٢٨-٣٠) وتختتم الترنيمة بعبارة رائعة "هكذا يبيد جميع أعدائك يا رب. وأحباؤه كخروج الشمس في جبروتها" (قض ٥: ٣١). فهي ترنيمة شكر على أعمال الرب والنصر العظيم الذي صنعه الرب بيد قادة إسرائيل الذين ضحوا بأنفسهم طواعية في سبيل الأمة. وهكذا تحولت الهزيمة واليأس إلى نصر ويقظة روحية. وكانت وراء هذا العمل العظيم امرأة في إسرائيل هي دبورة النبية[٣].

بولس الرسول وتأييده لقيادة المرأة:

كل المبادىء اللاهوتية التي يقرها بولس الرسول في فكره عن المرأة يبنيها على ما قاله في (١كو ١١: ١١و١٢). غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو

بالمرأة ولكن جميع الأشياء هي من الله. فبولس حطم كل الحواجز بين الرجل والمرأة، فإذا كان للرجل الحق في القيادة فهكذا يكون للمرأة الحق في القيادة بل أن الرسول بولس حيا النساء العاملات في الكنائس وأوصى عليهن (في ٢: ٢و٤، رو ١٦، ١كو ١٦: ١٩).

هل فعلاً يمكن للمرأة أن تحتل أعلى المناصب؟

إن الذي يدرس شخصية الملكة المصرية العظيمة حتشبسوت يدرك قوة المرأة المصرية النابعة من شخصيتها وذكائها وقدرتها على القيادة والحكم، ولهذا ظهرت تماثيلها على شكل أبي الهول له رأس إنسان وجسد أسد رمزاً للعقل والقوة معاً. وكان عصرها يتميز بالازدهار والتعمير وأثبتت كفاءتها كحاكمة أكثر من ملوك كثيرين وخلفها تحتمس الثالث الذي أمر بتدمير تماثيلها وتشويه رسومها، وكأنما أراد أن يمحو من التاريخ السنوات الاثنين والعشرين (١٥٠٤- ١٤٨٣ق.م) التي حكمتها حتشبسوت. ويمثل تحتمس بوضوح انتقام الرجل من المرأة بسبب تفوقها وذكائها وقوتها. وكما حاول تحتمس ذلك حاول من بعده رجال كثيرون تشويه صورة المرأة وإنكار ذكائها وقوتها. ولعل ما فعله تحتمس بالملكة حتشبسوت مازال يحدث حتى يومنا هذا عند بعض الرجال الذين يهاجمون المرأة وحرية المرأة. وهنا نقول إذا كانت المرأة منذ قديم الزمان هي مهد الحضارة وصانعة التاريخ الإنساني كله، فلماذا لا تعلو مكانة المرأة في هذا العصر الحديث ولماذا لا تعيد مصر أمجادها القديمة في عصور النور والحرية. فليس بجديد ولا بغريب

على أرض الكنانة وبناة الأهرام من أن يحققوا الحرية الكاملة لحواء مع احتفاظهم بأمجاد الماضي وثقافة الحاضر وأمل المستقبل المشرق بإذن الله.

قال أحد الشعراء العظام وهو الشيخ المراغي "أيها التاريخ لكم أنت قاس في عدالتك.. وعادل في مشورتك.. ذلك أنك تأبى ألا تضم إلى يومك أمسك فتعيد على الدوام نفسك وعلى الغافلين درسك"[٤].

الفصل الخامس

المرأة قاضية



أثبتت الكثيرات من النساء الناجحات في كل المجالات قدرة المرأة على العطاء، وتحمل المسئولية، وتحمل الأعباء الجسيمة، في جد ودراية وخبرة وقدرة على مواجهة المشكلات، وحلها بطريقة موضوعية. وقد برزت حواء في عصور الحرية في مجالات الأدب والشعر والفلسفة والطب والقضاء وغير ذلك. لقد كانت المرأة محاطة بسياج من القيود التي تعوق تقدمها، ولكنها صبرت وثابرت وواجهت كل التيارات، وحققت ذاتها على أرض الواقع. ومما حققته دورها في القضاء الذي سنشير إليه من زاوية كتابية بإيجاز شديد. وقبل أن نتكلم عن المرأة وعملها في القضاء من الجانب الكتابي أرى أنه جدير بنا أن نفهم معنى وعمل القضاء. ثم بعد ذلك يتجه حديثنا عن المرأة كقاضية بالشرح والتفصيل.

مفهوم القضاء كتابياً

اللفظ الأصلي "شافاط" الذي عنى عادة "حكم" يحتمل معنى موسعاً: "فالشوفيط" هو الحاكم الذي يقضي ويسوس شعباً ما كما هو واضح في صلاة دانيال إلى الله الواردة في سفره والتي فيها إشارة إلى شريعة موسى في القول: "قد أقام كلماته التي تكلم بها علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا لنا، ليجلب علينا شراً عظيماً ما لم يجر تحت السموات كلها كما أجرى على أورشليم" (دانيال ٩: ١٢). هكذا كان حكام قرطاجنة، كذلك قضاة إسرائيل منذ غزو أرض الميعاد إلى عهد الملكية كما هو واضح في حديث الرب عن بني إسرائيل الذين فعلوا الشر في عيني الرب إله آبائهم الذين أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى كما ورد في سفر القضاة." وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ولقضاتهم

أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها.." (قض ٢: ١٦ و١٧). إلا أن إحدى الوظائف الهامة لكل الحكام تقوم خاصة على البت في النزاعات لكي تسود العدالة في المجتمع وعلى إصدار الأحكام "ميشباط" التي تحدد حق كل واحد، وتعيده عند الضرورة في حالة الاعتداء عليه بإدانة المعتدى. فعمل القضاة هذا المعبَّر عنه تعبيراً يوازي الكلمة الأصلية "شافاط" قد مارسه موسى والشيوخ معاونوه عندما جلس موسى ليقضي للشعب من الصباح للمساء وتعب ولم يستطع أن يقوم بكل مسئوليات القضاء لكل الشعب فأشار إليه حموه يثرون أن يختار أناساً لهم صفات معينة ويقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئآت ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات فيقضون للشعب كل حين، وكل الدعاوي الكبيرة يجيئون بها إلى موسى وكل الدعاوي الصغيرة يقضون هم فيها، ويخفف عن نفسه فهم يحملون معه. فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قاله له (خر ١٨: ١٣-٢٦). وقضى أيضاً صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته وكان يذهب من سنة إلى سنة ويدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة ويقضي لإسرائيل في جميع هذه المواضع وكذلك الرامة أيضاً لأن بيته هناك وعندما شاخ جعل بنيه يوئيل وأبيا قضاة لإسرائيل اللذين لم يسلكا في طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوَّجا القضاء (١صم ٧: ١٦- ٨: ٣). وكذلك القضاء في عهد الملوك أيضاً مثل قضاء أبشالوم في عهد الملك داود لشعب إسرائيل عندما كان يأتي إليه كل صاحب دعوة (٢صم ١٥: ١-٦، ١مل ٣: ١٦-٢٨)، وكذلك أيضاً بعض القضاة المحليين ولاسيما الكهنة كما هو واضح في (تث ١٦: ١٨- ٢٠، ١٧: ٨-١٣).

وخير مثال لنا للمرأة في دور القضاء.

دبورة القاضية:

فقد تحدثنا عنها باعتبارها نبية وباعتبارها قائدة مع الرجل الذي لم يستطع أن يقود المعركة بدونها. وهنا نرى أن لها دوراً ثالثاً عظيماً هو دور القضاء، فقد كانت تجلس تحت نخلة وينتقل إليها المتنازعون من كل مكان للفصل بينهم فيما استعصى عليهم حلَّه من خصومة أو خلاف أو نزاع. ولا يمكن أن يذهب الرجال المتخاصمون إلى امرأة إلا لأن حكمتها فاقت جميع الرجال الموجودين في جيلها وعصرها. فهي من ذلك الصنف من النساء الذي يبرز في الأزمات كالمرأة الشونمية الحكيمة التي استعان بها يوآب في إرجاع أبشالوم من المنفى. ولا شك أن شهرة أحكام دبورة قد ذاعت في طول البلاد وعرضها، وعرف عن أحكامها ما فيها من دقة وعمق وأصالة وبعد عن التحيز والهوى والعاطفية. ولكنها كانت مفكرة مدبرة متزنة موضوعية في كل أحكامها بين الرجال.

المرأة المتميزة بالهيبة والاحترام

وهي الشخصية الحكيمة فلا شك أنها كانت مرهوبة الجانب محترمة من الجميع، وقد وصفها يوسيفوس المؤرخ اليهودي بأنها كانت موضع المهابة والاحترام ليس في جيلها فحسب بل في كل التاريخ اليهودي بالملكة. ولا يبدو هذا في قدرتها على وضع أحاكمها كقاضية موضع التنفيذ في عصر وُصف أبلغ وصف بالكلمة التي جاءت في ختام سفر القضاة: في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل وكل واحد عمل ما حسن في عينيه. بل أكثر من ذلك أنها وجهت الأمة

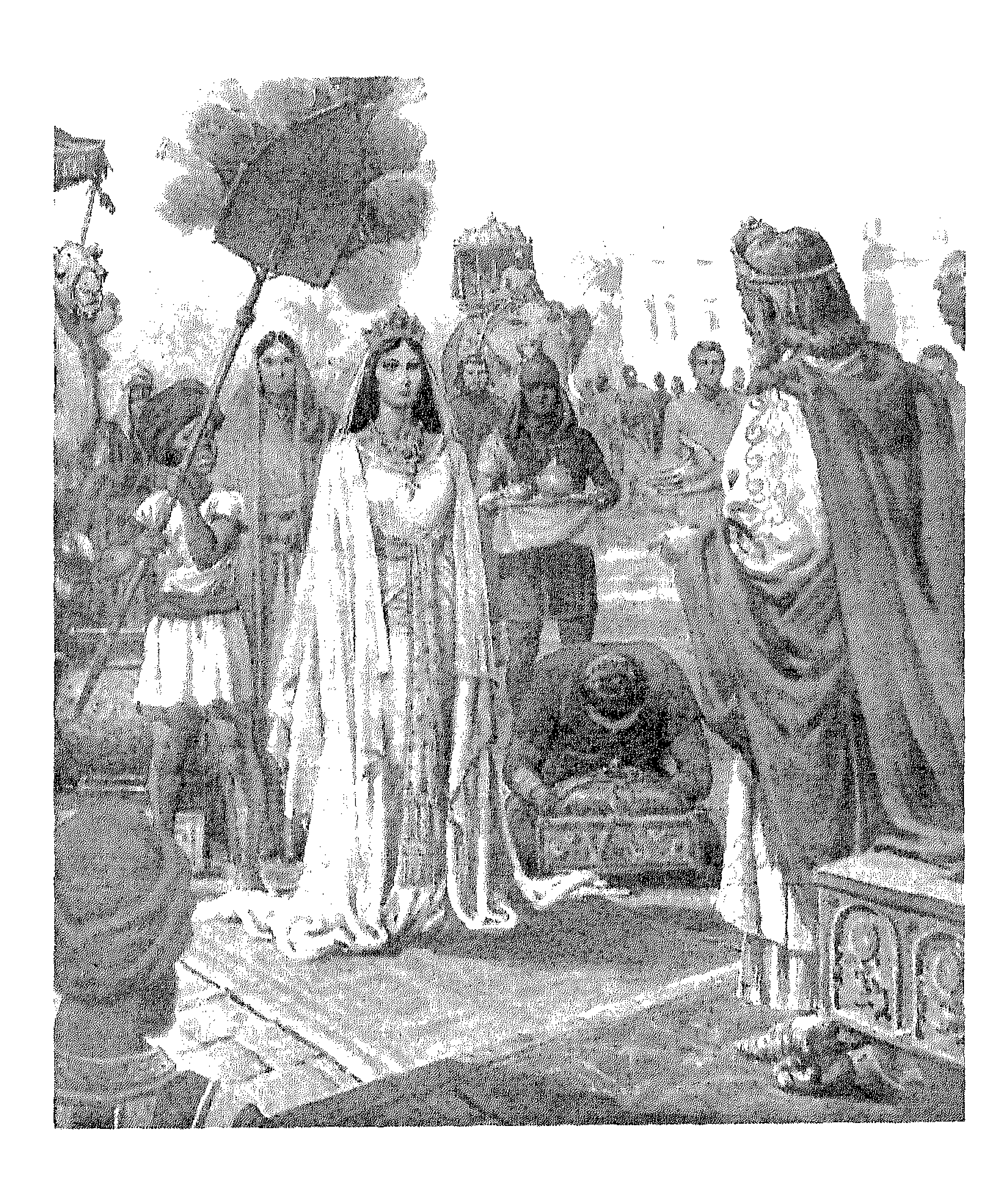
ودعتها إلى الحرب، ورفض القائد أن يتحرك للقتال إلا إذا كانت هي على رأس الجيش تسير إلى جواره خطوة خطوة. والشيء العجيب في هذه المرأة أنها كانت تجمع بين قوة السكون وقوة الحركة. كانت جالسة تحت نخلة دبورة تحكم كما يحكم ملك من عرش. وعندما دعت باراق ابن أبينوعم إلى القتال لم تذهب هي إليه بل دعته ليأتي إليها، وفي هذا اعتزاز كبير بشخصيتها القوية ولسانها الآمر.

رسالة حب للمرأة المعاصرة

وأفضل رسالة للمرأة اليوم أراها في كلمات البروفيسور مكاي: "والآن أليس بينكم من يسمع الدعوة الإلهية كما سمعتها دبورة في القديم.. فهناك بيوت خربة، ضائعة بينكم في هذه الأيام كما كانت في أيام دبورة قديماً، فالشهوة والإدمان، والاغتصاب، والشر هي جيوش سيسرا القديمة التي ذبحت في طريقها عشرات الآلاف في أرضنا البهيجة، فماذا أنتم فاعلون تجاه هذا الخراب!!؟ وهل لا يوجد بينكم من ينهض كدبورة لينضم إلى ذلك الجمع النبيل من الرجال والنساء، الجمع الذي لا يمكن أن يهدأ أو يستريح حتى يضرب ضربته القاضية لمجد الله والإنسانية؟ ألستم تسمعون نداء المسيح أيتها الأخوات من النساء!!؟ أجل فإنه نفس الصوت الذي جاء قديماً إلى بنات أورشليم عندما قال: "يا بنات أورشليم لا تبكين عليَّ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن.. "، ابكين بكاء الضراعة والحزن على غيركن من أخوات خاطئات.. ألا فانهضن من فراش تنعمكن، وهدوء جمودكن وسرن مع المسيح في "طريق الآلام" لتساعدنه بمساعدة إخوتكن من الرجال والنساء"[١].

الفصل السادس

المرأة ملكة



هناك مفهوم شائع يقول إن الرجل أقوى من المرأة. وبناءً على هذا المفهوم لا يتم اختيارها في بعض الوظائف القيادية الكبيرة ذات المناصب العليا بحجة أن المرأة عاطفية وقراراتها غير دقيقة. فهل هذا المفهوم صحيح حتى يمكن العمل به؟ ومن الذي يستطيع الإجابة الصحيحة على هذا السؤال؟ وهل كل مقولة تعتبر صحيحة لاهوتياً وعلمياً وسيكولوچياً؟ أم أن الإجابة يجب أن تُبنى على حقائق وأسس علمية ولاهوتية سليمة؟

الفكر اللاهوتي وقوة المرأة

يقول أحد الكتَّاب اللاهوتيين المفكرين : "كل واحد من الجنسين له جوانب من القوة، وهذا يتوقف على نوع الشخصية والإمكانيات والقدرات، فالقوة للأنثى وللذكر على حد سواء. ومن ناحية أخرى قد يفتقر الرجل إلى القوة في جانب في الوقت الذي نجد المرأة قوية في نفس هذا الجانب والعكس صحيح. ولهذا فليس لأي منهما سلطان على الآخر. بل الموضوع هو: من منهما له القدرة أو الموهبة المناسبة التي تمكنه من الخدمة(١).

علم النفس وقوة المرأة

يرى علماء النفس أن المرأة كالرجل تماماً لها من الجوانب النفسية والعقلية ما للرجل أيضاً. وقد توصلوا إلى هذه الحقيقة العلمية ليس بطريقة عفوية، ولكن على أساس التجارب المختلفة الموضوعة تحت ضوابط معينة، ويوضح هذه الحقيقة عالم النفس الدكتور زكريا إبراهيم بقوله: "إن سيكولوچية المرأة لا تعني وصف ذلك الموجود المجرد الذي أطلق عليه اسم (الأنثى الخالدة) كما أن سيكولوچية الرجل

لا تعني وصف ذلك الموجود الذي اعتدنا أن نسميه باسم (الذكر) وإنما يجب أن نحذر القارىء من الانسياق وراء تلك التجريدات الجوفاء التي لا تؤدي إلا إلى تزايد الصراع بين الجنسين وعجز كل من الرجل والمرأة عن تحقيق التكامل الذي يضمن لهما أسباب السعادة. إنهم يقولون إن الرجل هو القوة والمرأة هي الجمال، ولكن أليس للقوة جمالها كما أن للجمال قوته؟" (٢).

الأنوثة والرجولة معاً يكونان الإنسان المتكامل

ويقول أيضاً في موضع آخر: "قادتنا دراسة التطور السيكولوچي لشخصية المرأة إلى القول بأنه ليس ثمة" أنوثة محضة ولا ذكورة محضة"، وإننا حينما نحاول أن ندرس سيكولوچية النساء نجد أن هذا المفهوم المطلق الذي نسميه باسم المرأة يكاد يكون معنى مجرداً قلما نلتقي به في صميم علاقاتنا بشتى الشخصيات النسوية"، ويواصل كلامه ويقول "إن الأنوثة المطلقة والرجولة المطلقة لا وجود لهما. إنهما مجرد اختلاف في وظيفة كل من الرجل والمرأة في الحياة لكي تسير الحياة كما أراد لها الله، فللرجل دوره في رعاية الأسرة، وللمرأة دورها أيضاً التي خلقت من أجله. فعلينا أن ننظر للرجل والمرأة على السواء من الجانب الإنساني. وما الفوارق سوى وظائف بيولوچية قد تتوقف إلى حد كبير على الغدد الصماء في الجسم"(٣).

لا رجولة خالصة ولا أنوثة خالصة

ويؤكد على نفس الفكر الدكتور صموئيل حبيب بقوله: "إن الفروق بين الذكر والأنثى، لا تعني التمييز، بل إنها ترجع إلى العوامل البيولوچية والحضارية. إننا

بالمعنى البيولوچي، السيكولوچي، لا نجد رجولة خالصة ولا أنوثة خالصة. فإن كل فرد يتحلى بخصائص بيولوچية لجنسه مع بعض الخصائص البيولوچية للجنس الآخر، فللذكر إلى جانب خصائص الذكورة توجد بعض الخصائص الأنثوية التي تزيد أو تقل بين الواحد والآخر. كما أن الأنثى لها بعض خصائص الذكورة تتفاوت بين الكثرة والقلة بين أنثى وأخرى، إلى جانب الخصائص الأنثوية الأصلية. فإن الهرمونات الذكرية والأنثوية تفرز في الجنسين إلا أن الهرمونات الذكرية تزيد في الذكر والأنثوية تزيد في الأنثى، من هذا يظهر أن هرمونات النوع الآخر تُفرز في كل جنس، لذا نشاهد بعض المظاهر الأنثوية في الرجل تزيد أو تقل حسب الهرمونات، كما أننا نشاهد بعض المظاهر الرجولية في الأنثى تزيد أو تقل أيضاً حسب الهرمونات"(٤).

سلطان واحد للرجل والمرأة معاً

وفضلاً عن كل هذا، فإن الله ذاته عندما خلق الإنسان (الرجل والمرأة معاً) منح السلطان لكل منهما ولم يميز بين جنس وآخر لكنه أعطاهم سلطاناً واحداً غير مجزأ إذ قال للرجل والمرأة ولنسلهما من بعدهما "وتسلطوا"، فهذا القول لا يحمل ولا يعني أي تمييز بين الرجل والمرأة، وهذا يوضح أن حقوق الرجل والمرأة تقوم أساساً على التساوي المطلق في سلطان واحد موهوب لهما معاً. لذلك لا مجال لأي تفوُّق في السلطان على أي من الرجل أو المرأة في أي ميدان من الميادين التي أُعطي للإنسان أن يتسلط عليها.

لا تمييز بين الرجل والمرأة في أي خصال أو مواهب متأصلة

كما يجيب على التساؤل الذي بدأنا به حديثنا في هذا الفصل الأب متى المسكين في دراسة عن المرأة، ليؤكد على التساوي المطلق بين الرجل والمرأة وعدم تميز الرجل عن المرأة في أي خصال أو مواهب متأصلة في طبيعته فيقول: "بظهور المدنية ودخول الإنسان عصر الآلة، استولى الرجل في البداية - بغير وجه حق - على إدارتها دون المرأة بحجة أنه الأقوى والأكثر قدرة على الاحتمال والصبر، وارتضت المرأة بذلك وهكذا اتخذ الرجل من قوة الآلة حجة أنه الأقوى، مع أن قوة الآلة حلت محل قوته، فلم تعد لقوة الرجل في إدارة الآلة نفس المسئولية والجهد اللذين كانا يتطلبهما السعي في الحياة بقوة الذراعين فقط.

ظهور الآلة الحديثة يكشف حقوق المرأة و رسالتها

وقد ظهر هذا الأمر بصورة واضحة عندما تطورت الآلة ولم يعد يستلزم تشغيلها إلا أقل مجهود حيث لا تحتاج أحياناً أكثر من تحريك اليد أو الرجل أو الإصبع بالضغط على الأزرار، وهنا بدأت المرأة تستيقظ وتكتشف حقها الذي ضيعته باستكانتها فاقتحمت ميدان العمل ونجحت فيه نجاحاً باهراً، مما أكد صدق الحقيقة الأولى أن بركة الله كانت للإنسان عند الخليقة بالتساوي بين الرجل والمرأة، وأن السلطان مُنح لهما معاً على قدم المساواة في العمل للوصول إلى هدف مشترك.

ولذلك نرى أن المرأة قد ظلمت بسبب خرافة القول بأن القوة الجسدية هي المقياس في توزيع الحقوق والسيادة والسلطان بين الرجل والمرأة. وحتى القول

بالذكاء وسرعة البديهة التي احتكرها الرجل باعتبارها -- من مواهبه الطبيعية - ثبت عدم صحته، لأن تلك كانت مرادفة لتفرد الرجل في ممارسة العمل اليومي ولذلك فهي مهارات اكتسبها بالمران تحت ظروف العمل الصعبة، وليست خصالاً أو مواهب متأصلة في طبيعته من دون المرأة. ولما دخلت المرأة ميدان الكفاح والدراسة والتحصيل ثبت تساوي هذه الصفات (٥).

وهنا نتطرق إلى وظيفة من أهم الوظائف القيادية العظمى التي تبوأتها المرأة كملكة. والكتاب المقدس يطلق لقب ملكة على أربع.

(١) **زوجة الملك:** مثل وشتي زوجة الملك أحشويروش أو على أستير زوجته اليهودية أو غيرهم.

(٢) **أم الملك:** مثل بثشبع أم الملك سليمان وغيرها.

(٣) **من تتولى حكم في المملكة:** مثل ملكة سبأ وغيرها.

(٤) **أطلقت الكلمة مجازياً** على مدينة بابل (رؤ ١٨: ٧) في صورة رمزية للمسيحيين بالاسم التي سيوقع بها الله الدينونة. وفيما يلي نعطي إيضاحاً بتقسيم ثلاثي مع ملاحظة أن هذا التقسيم الثلاثي يهدف إلى مجرد مساعدة القاريء لاستيعاب ودراسة هذه الشخصيات بطريقة منظمة بعض الشيء، ونشير هنا أيضاً إلى أمرين مهمين هما:

١. هناك تداخل، فمن الممكن أن تكون إحدى الشخصيات ملكة لأنها أم الملك وهي زوجة ملك آخر في نفس الوقت، ومن الممكن أن تكون إحدى الشخصيات أم

لملك وهي ابنة ملك آخر، ومن الممكن أن تكون إحدى الشخصيات زوجة ملك وأم ملك آخر.

٢. هناك بعض الشخصيات يستلزم الأمر أن نعطيها تركيزاً بعض الشيء أثناء دراستها نظراً لإنجازاتها المتعددة والدروس الكثيرة التي نأخذها عنها، فنسهب فيها بعض الشيء.

أولاً: أمثلة للملكة الزوجة

١. الملكة وشتي زوجة الملك أحشويروش:

وكلمة وشتي اسم فارسي معناه بالفارسية القديمة "محبوبة"، وبالفارسية الحديثة "جميلة"، أو "بديعة"، وهي ملكة فارس، طلقها أحشويروش ونزع عنها تاج الملك لأنها رفضت أمره وأبت أن تمْثل، والتاج على رأسها، أمام ضيوفه في الوليمة التي أقامها في السنة الثالثة من ملكه ليشاهد الحاضرون حسنها وجمالها (أس ١: ١١ و١٢– ٢: ١)[٦].

وهنا نلاحظ أمراً مهماً جداً أن المشكلة التي حدثت وتسببت في خلع الملكة عن مكانتها لم تكن فيها بل كانت في أنانية وكبرياء زوجها الملك، فقد أقام الملك حفلاً تاريخياً باذخاً جمع فيه أناساً وقيادات من جميع الشعوب. ويقال إنه كان يعد وقتئذ لغزو اليونان، وهو لذلك كان يكثر من الخمر والشراب، وإذ هو يشرب ويشرب، ويشرب معه العظماء والسادة، وفي لحظة فقد فيها اتزانه العقلي، أمر أن تأتي الملكة في جمالها البارع، لكي تظهر فيما يشبه العرض على الحاضرين، وإذ

بالملكة الشجاعة النبيلة، ترفض أن تظهر أمام العيون المبتذلة المخمورة، وإذ هو يخرج في كبريائه ويستثير المخمورين معه فيما يفعل تجاه كبريائه الجريحة، يأمر بخلع الملكة، ويصدر قراراً أن الرجل يحكم المرأة في البيت. كأنما الحكم في البيوت يحتاج إلى قانون ملكي ليسيطر فيه الرجل على المرأة .. وإذا بالملك يهدأ بعد الغضب ويحنّ إلى وشتي وهو لا يستطيع أن يرجعها، وأصبح في حاجة إلى من يملأ له الفراغ(٧).

والحقيقة أن قضية هذه المرأة مع زوجها هي قضية الكثير من الأسر اليوم التي تنتهي بالتفكك والدمار وتعود النتيجة على كل من الزوج والزوجة والأبناء الذين يكون مصيرهم التشرد والضياع، والسبب الرئيسي يكون هو كبرياء الرجل الذي يعتبر زوجته مجرد وسيلة للمتعة وليست كإنسان له حرية وإرادة ومشاعر كاملة مثله.

٢. أستير الزوجة اليهودية للملك أحشويروش:

اسم أستير من أصل هندي قديم ومعناه "سيدة صغيرة" ثم انتقل إلى الفارسية وأصبح معناه "كوكب". ويظن بعض العلماء أنه يرجع إلى أصل أكادي "أشتار" ويقابل في العبرية "عشتاروث". وكانت أستير فتاة جميلة وهي ابنة أبيحائل الذي يرجح أنه من سبط بنيامين (أس ٢: ٥ و٧ و١٥). أما اسمها في العبرية فهو هدسة أي "شجرة الآس". وقد تُركت يتيمة وهي بعد صغيرة فأحضرها ابن عمها مردخاي الذي تبنّاها إلى شوشن العاصمة الفارسية. وقد أقام الملك أحشويروش وليمة لعظمائه، وإذ كانوا يحتسون الخمر لعبت الخمر

برأسه فأمر أن يحضر امرأته الملكة وشتي كي يرى عظماؤه جمالها الرائع. ولكن وشتي رفضت أن تمتهن كرامتها. وأهاج رفضها ثائرة الملك فأصدر وفقاً لنصيحة مشيريه قراراً بحرمان الملكة وشتي من المثول لديه. وأصدر أمراً بأن تعطى مكانتها لأخرى.

وعندما أمر الملك بأن يبحثوا بين الفتيات في كل مملكة عن فتاة جميلة لتأخذ مكانة وشتي. فاختيرت أستير في السنة السابعة لملك أحشويروش ونصبت ملكة في القصر. ولم يكن معروفاً حينئذ أنها يهودية الجنس. ولقد اعتلت أستير العرش في ظروف دقيقة. فقد كان "هامان" أقرب المقربين من الملك أحشويروش، وحدث بعد أن اعتلت أستير العرش بخمس سنوات (أس ٢: ١٦، ٣: ١٧). ثار غضب هامان على مردخاي، لأنه رفض أن يقدم له الخضوع والإجلال. وقصد هامان أن ينتقم لنفسه لا بقتله مردخاي فحسب بل بإبادة كل اليهود في كل أنحاء الامبراطورية. وقد تمكّن هامان من أن يحوز رضا الملك ويأخذ موافقته، فقد قدم رشوة باهظة وشكا اليهود بأنهم قوم صلاب عنيدون يتمسكون بشرائعهم وعاداتهم. ولكي يعضده الرعاع في فعلته بإبادة اليهود زين لهم النهب وإشباع أطماعهم (٣: ١٥). وقد حث مردخاي أستير أن تتدخل في الأمر لحماية بني جنسها. ولكنها خافت ولم تجرؤ على الإقدام على مثل هذا الأمر، فخاطبها مردخاي في حزم وقوة، فما كان منها إلا أن صامت وصلت وخاطرت بحياتها ومثلت في حضرة الملك دون أن يصدر لها أمر بذلك. وفي فطنة فائقة وحكمة نادرة انتهزت الفرصة لتوجيه التفات الملك إلى أن مؤامرة هامان غزت قصر الملك

وامتدت إلى شخصها هي، وبما أنه لم يكن من الممكن إلغاء أمر الإبادة، فقد أمكنها أن تحصل لليهود على إذن بأن يدافعوا عن أنفسهم وأن يردوا كيد أعدائهم إن أرادوا(٨).

وبعد هذا السرد المبسط لشخصية هذه الملكة الشابة العظيمة نرى في حكمتها وتواضعها وولائها أنها قد فاقت الكثيرين من الرجال. ونحن نلقي الضوء على بعض جوانب شخصيتها نرى فيها ما يلي:

١- **قوة الجمال:** فقد قال الدكتور زكريا إبراهيم الباحث السيكولوچي: "إنهم يقولون إن الرجل هو القوة والمرأة هي الجمال، ولكن أليس للقوة جمالها كما أن للجمال قوته. ومعنى اسم أستير هدسة أي ذلك النوع من الشجر القصير الظليل الجميل، أو تعني نجمة أو عشتاروث إلهة الخصب والشباب والجمال، وهنا نرى في جمالها أنه الجمال القوي الذي يستطيع أن يحرز نصراً.

٢- **التواضع والهدوء:** وفضلاً عن جمالها الرائع الذي نضج واكتمل وتألق، وسار في طريقه إلى العظمة والأبهاء والقصور.. أنها كانت فتاة جميلة الخلق، وديعة النفس، متواضعة الروح، يلمس المرء فيها صفات البساطة والهدوء، فهي في تجملها لا تميل إلى الإفراط والإغراق الأمرين اللذين كان يتطلبهما الاستعداد للدخول إلى الملك.. وحين بلغت العرس لم يبهرها الصعود السريع المفاجيء عن الحياة الوديعة القديمة، كنا نظنها ستنسى مردخاي أو تتحاشاه، أو تذكره بشيء من الأنفة والكبرياء.. أليس الفاصل بينهما الآن كبيراً هائلاً لا يمكن تخطيه، أليست هي الآن نجمة الامبراطورية الفارسية العظيمة وهو مجرد واحد من

الرعايا اليهود الأصاغر.. لكن الملكة القديمة لم تفعل ذلك بل من العجيب أنها ظلت على روح كاملة من الولاء والطاعة له كما كانت عنده في بيته الفقير. وهنا نرى فيها صورة الشخصية العظيمة التي لا يلوثها الغرور أو تفتنها الكبرياء فتشيح بذكراها عن الأيام البسيطة الصغيرة الساذجة الأولى.. لقد رفع أحشويروش إلى المجد شخصين، فقتل المجد أحدهما وأزكي الثاني، قتل هامان بكبرياء وأزكي عظمة أستير بتواضعها[٩].

وهنا نرى تطبيقاً واضحاً لقول الوحي الإلهي بلسان الحكيم سليمان: "قبل الكرامة التواضع" (أم ١٥: ٣٣) وقوله: "ثواب التواضع ومخافة الرب هو غنى وكرامة وحياة" (أم ٢٢: ٤) وقول السيد المسيح له المجد: "كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع" (لو ١٨: ١٤).

٣- **الإيمان الحقيقي:** تمثل أستير صورة للإنسان المؤمن المحافظ، فمن الواضح أن الكثير من الجنسيات والشعوب قد ذابت على مر الأجيال في الأماكن التي وصلت إليها، لكن أستير لم تؤثر عليها حياة الترف والبذخ والمجد في المملكة، ولم تفصلها عن شعبها.

كما أن الكتاب المقدس يصف لنا قصة حياتها كفتاة يهودية مؤمنة في عصر الوثنية والظلام. وقد عاشت في شوشن تحيط بها الوثنية من كل جانب لكنها لم تستطع أن تؤثر فيها أو تنتصر عليها أو تنسيها الحياة القديمة التي كانت لأجدادها إبراهيم وإسحق ويعقوب. وعندما واجهها الخطر وواجه قومها لجأت إلى الله بالصوم والصلاة هي وجواريها. فقصة حياتها أجمل عظة لجميع المؤمنين في كل الشعوب والممالك.

٤- **وطنية عظيمة:** فالكتاب المقدس يعلمنا أن المؤمن الصحيح ينبغي أن يكون وطنياً متفوقاً في وطنيته، وعلى استعداد أن يبذل كل شيء من أجل الآخرين من إخوته وأحبائه ومواطنيه، وعليه أن ينسى نفسه ويدفع الضريبة مهما بلغت لمجد الله أولاً وخير الآخرين بعد ذلك. وهذا ما رأيناه تماماً في شخصية الملكة أستير (فالإيمان الصحيح والوطنية الصحيحة يسيران علي الدوام في خطين كاملي الاستقامة والامتداد والتوازي)(١٠).

٣- الملكة معكة بنت تلماي ملك جشور

وإحدى نساء داود الملك التي ولدت له أبشالوم (٢صم ٣: ٣، ١أخ ٣: ٢). وكانت مملكة جشور مملكة صغيرة تقع شمالي يهوذا بين حرمون وباشان(١١).

ثانياً: أمثلة للملكة الأم

٤- الملكة بثشبع أم الملك سليمان

اسم عبري معناه "الابنة السابعة" أو "ابنة القسم أو الحلف"، وتسمى في أخبار الأيام الأول (٣: ٥)، "بثشوع" أي "ابنة الوفرة أو الشبع". وهي بنت أليعام (٢صم ١١: ٣٠) أو بنت عميئيل (١أخ ٣: ٥)، ولكلا الاسمين نفس المعنى (أي "الله عمي" أو "عمي الله" على الترتيب). وكانت زوجة لأوريا الحثي أحد أبطال داود، وكانت "جميلة المنظر جداً"، رآها داود من على السطح وهي تستحم، فأرسل داود "وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها" (٢صم ١١: ٢-٤). واحتال داود على قتل زوجها (٢صم ١١: ٦-١٧). وبعد مقتل أوريا أرسل داود وضمها

إلى بيته وصارت له امرأة تعيش معه في قصره (٢صم ١١: ٢٧)، وقد ولد منها أربعة بنين (٢صم ٥: ١٤، ١أخ ٣: ٥) بعد موت الولد الأول الذي حبلت به من داود قبل زواجه منها (٢صم ١٢: ١٤-٢٤). وقد نجحت بثشبع بمعاونة النبي ناثان في منع أدونيا من اغتصاب عرش أبيه، وضمنت العرش لابنها سليمان (١مل ١: ١١-٤٦). وحاول أدونيا بعد ذلك أن يخدع بثشبع لتعاونه في أخذ أبيشج الشونمية زوجة له، ولكن سليمان كشف خداعه وأرسل بيد بناياهو بن يهوياداع فبطش به فمات (١مل ٢: ١٣-٢٥). ويقول التقليد اليهودي إن سليمان كتب الأصحاح الحادي والثلاثين من سفر الأمثال تخليداً لذكرى أمه. وتذكر بثشبع أيضاً في سلسلة نسب يسوع، على أنها "التي لأوريا" (مت ١: ٦)[١٢].

وأعظم رسالة لهذه المرأة في حياتها أنها قدمت لابنها الملك هدية قيِّمة عبارة عن تاج حوى أربع جواهر، تاج أروع جمالاً من كل تاج، ولقد صاغت تلك الجواهر من قلبها، من دمها ومن دموعها في الأيام التي مرّت عليها بسبب السقطة الشنيعة التي سقطتها.

الجوهرة الأولى: في ذلك العقد الثمين هي العفة، وأنت تسمعها بكل وضوح وبأدب مكشوف تقول: "لا تعط حيلك للنساء ولا طرقك لمهلكات الملوك". إن لحظة نزوة تهدم جبابرة، ومن الواجب تحصين النفس ضد الانزلاق في هذه الهوة السحيقة، وهي لا تظهر كذلك في أول الأمر، فإذا كان الأمر صحيحاً مع الفرد العادي فكم بالحري مع الملك الذي يحمل على عاتقه مسئوليات الشعب.

والجوهرة الثانية: هي جوهرة **الاعتدال**، أو على الأصح جوهرة الامتناع، وقد أصبحت هذه الجوهرة نادرة الوجود، فقد غزت الخمر كل مكان وخصوصاً في

أماكن الطبقات العالية. ودخلت قصور الرؤساء والملوك، ولكن هذه المرأة الشجاعة ترفع صوتها بالقول يالموئيل أي يا سليمان ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر، وأوضحت ما تقول بما تنتهي إليه الخمر من النسيان المقوت، يقول ضربوني ولن أتوجع لقد لكأوني ولم أعرف.

والجوهرة الثالثة: هي **الحق** والوقوف مع الحق ومناصرة الضعيف في ذلك، وفي هذا كانت المرأة موفقة ولو أن موقفها كان قاسياً عليها لأن الناس عادة يقفون إلى جانب القوى الذي لا يحتاج إلى من يدافع عنه. ويصدون البائس والمسكين، يبيعون الفقير بنعلين ويقبلون الرشوة، أما أمه فقد طلبت منه أن يفتح فمه من أجل الأخرس والأصم فلا يقف موقفاً سلبياً بإزاء مظالم الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

والجوهرة الرابعة: فقد توجت المرأة العظيمة عقدها بهذه الجوهرة أيضاً وهي **الزوجة الفاضلة،** لقد طلب سليمان الزوجة الجميلة فأخبرته أن هناك زوجات ثمنهم رخيص، وكانت نصيحتها أن يطلب من الله أن يدله على الزوجة التي ثمنها يفوق اللآليء، وهي الزوجة الفاضلة. وأكدت له أن الحسن غش والجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهي تمدح. وقد رسمت تلك الزوجة رسماً رائعاً. ولو أن سليمان أطاع أمه ما تعس في حياته وما خسر ابنه العرش وما سجل له التاريخ سجلاً حافلاً بالمؤاخذات(١٢).

٥- الملكة معكة أم الملك أبيا

وكانت ابنة أو بالحري حفيدة أبشالوم. وزوجة للملك رحبعام بن سليمان (١مل

١٥: ٢، ١أخ ١١: ٢٠-٢٢) وذلك في نحو ٩٢٦ ق.م. وفي العدد العاشر من نفس الأصحاح في سفر الملوك الأول (١٥: ١٠) تذكر على أنها أم آسا الملك. ولكن كلمة "أم" هنا تستخدم بمعناها الواسع. فقد كانت جدة آسا لأبيه. ويبدو أن معكة كانت حفيدة أبشالوم وابنة ثامار ابنة أبشالوم الوحيد من أورئيل من جبعة حيث تدعى معكة "ميخايا بنت أورئيل" (٢أخ ١١: ٢٠-٢٢، ١٣: ٢). ولأنها عملت تمثالاً لسارية خلعها آسا من أن تكون ملكة -الملكة الأم وقطع تمثالها وأحرقه في وادي قدرون (١مل ١٥: ١٠-١٣، ٢أخ ١٥: ١٦)[١٤].

٦- الملكة عثليا أم أخيا

اسم عبري معناه "الرب مرتفع"، ويقول البعض إنه يعني "من يبليه الرب"، وهو اسم: عثليا ابنة أخاب ملك إسرائيل من زوجته إيزابيل، وحفيدة "عمري" سادس ملوك إسرائيل، وقد لعبت دوراً كبيراً في تاريخ مملكة إسرائيل:

(أ) ففي صباها: أصبحت العلاقات بين مملكتي إسرائيل ويهوذا علاقات ودية- بعد طول صراع- فتزوجت يهورام أكبر أبناء يهوشافاط ملك يهوذا (٢مل ٨: ١٨). وكان زواجاً سياسياً ووصمة عار في تاريخ يهوشافاط الملك التقي.

(ب) عثليا تصبح ملكة على يهوذا: عندما بلغ يهورام الثانية والثلاثين من عمره، خلف أباه يهوشافاط على عرش يهوذا، وهكذا أصبحت عثليا ملكة على يهوذا، وقد ورثت عن أمها إيزابل -على ما يرجح- قوة الإرادة، كما نهجت على نهجها في العمل على نشر عبادة البعل إله الصيدونيين. ولم تستطع بسبب ضربة

إيليا النبي لعبادة البعل في السامرة قبيل توليها عرش يهوذا -أن تثني عزمها على نشر عبادة البعل في يهوذا، بل بالحري أشعلت غيرتها.

وكان أول عمل قام به يهورام بعد توليه العرش، أنه "قتل جميع إخوته (الستة) بالسيف، وأيضاً بعضاً من رؤساء إسرائيل" (٢أخ ٢١: ٤) ممن كانوا يتمسكون بعبادة الرب. وليس ثمة شك في أن هذه الأعمال الدموية كانت بتشجيع من عثليا التي يبدو أنها كانت أقوى شخصية من زوجها.

ومات يهورام ملك يهوذا بعد أن ملك ثماني سنوات، وخلفه ابنه أخزيا، وهو في الثانية والعشرين من عمره، وأصبحت عثليا بذلك -"الملكة الأم"- صاحبة المشورة العليا في القصر وفي الأمة. ولكن قبل أن تمضي سنة على أخزيا على العرش، مات متأثراً بجراحه التي أصابته من جنود ياهو أحد قادة جيش إسرائيل، الذي خرج على يهورام ملك إسرائيل وقتله عند حقلة "نابوت اليزرعيلي" إتماماً لقول الرب على فم إيليا النبي لأخاب بعد قتله لنابوت واغتصاب كرمه (٢مل ٩: ١١-٢٩، ٢أخ ٢٢: ٧-٩).

(جـ) عثليا تقتل جميع أحفادها: ولما رأت عثليا أم أخزيا أن ابنها قد مات، قامت فأبادت جميع النسل الملكي" (٢مل ١١: ١، ٢ أخ ٢٢: ١٠). أي أنها قتلت كل أحفادها، وكل من كان يمكن أن يدّعي بالحق في العرش، لكي يخلو لها الجو وتنفرد بالحكم. ولكن نجا من تلك المذبحة طفل صغير هو "يوآش ابن أخزيا". حيث أخذته عمته يهوشبع بنت الملك يورام، هو ومرضعته وخبأته من وجه عثليا، في بيت الرب. لأنها كانت زوجة ليهوياداع رئيس الكهنة (١مل ١١: ٢ و٣، ٢أخ ٢٢: ١١).

(د) استيلاؤها على العرش: لما خلا لها الجو، أصبحت هي الملكة على عرش يهوذا لمدة ست سنوات، وكانت بذلك المرأة الوحيدة التي جلست على عرش المملكة في يهوذا، وهو ما يدل على جبروتها ودهائها، ويبدو مما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٤: ٧) أن جزءاً من الهيكل في أورشليم قد هدم، واستخدموا مواده وأقداسه في إقامة هيكل للبعل. والمقصود "بأبناء عثليا" هنا، هم أخزيا وإخوته قبل مقتلهم.

(هـ) الثورة المضادة: في السنة السابعة ليوآش، تشدد يهوياداع الكاهن، واتفق مع رؤساء المئات، وجالوا في جميع مدن يهوذا، وجمعوا اللاويين ورؤوس آباء إسرائيل، وجاءوا إلى أورشليم. فقطع الجميع عهداً في بيت الرب مع الملك الطفل يوآش، أن يضعوه على عرش أبيه. ويسجل سفر أخبار الأيام الثاني بالتفصيل الخطة التي رسمها يهوياداع مع رجاله لتحقيق ذلك. وقد نجحت الخطة، نودي بيوآش ملكاً، وهتف الشعب "ليحيي الملك" (٢مل ١١: ٤-١٢، ٢أخ ٢٣: ١-١١).

(و) مقتلها: لما سمعت عثليا الهتاف، دخلت إلى بيت الرب، ورأت الملك واقفاً على المنبر، والشعب يهتف له، فشقت ثيابها وصرخت: "خيانة خيانة"، فأمر يهوياداع قادة الجيش بإخراجها إلى خارج حتى لا يقتلوها في بيت الرب. "ولما أتت إلى مدخل باب الخيل، إلى بيت الملك، قتلوها هناك" (٢مل ١١: ١٣-١٦، ٢أخ ٢٣: ١٢-١٥).

وهكذا انتهت حياة تلك الملكة الشريرة، بعد أن ملكت ست سنوات (٢مل ١١: ٣، ١٢: ١، ٢أخ ٢٢: ١٢). وقد وافقت سنتها الأولى على العرش، السنة الأولى

لياهو ملك إسرائيل (نحو ٨٤٦ ق.م). ففي السنة السابعة لياهو، ملك يهوآش لمدة أربعين سنة. وتذكر عثليا لآخر مرة في الكتاب المقدس بأنها "عثليا الخبيثة" (٢أخ ٢٤: ٧)[١٥].

٧- الملكة نعمة العمونية

اسم سام معناه "حسن" وهي أم رحبعام وزوجة سليمان بن داود، وقد ورد عنها حديث الوحي في القول "وأما رحبعام بن سليمان فملك في يهوذا.. واسم أمه نعمة العمونية.." (١مل ١٤: ٢١ و٣١، ٢أخ ١٢: ١٣).

٨- الملكة عزوبة بنت شلمي

وهي زوجة الملك آسا وأم الملك يهوشافاط. ويذكرها الوحي الإلهي في قوله "وكان يهوشافاط بن آسا على يهوذا في السنة الرابعة لآخاب ملك إسرائيل وكان يهوشافاط ابن خمس وثلاثين سنة حين ملك وملك خمساً وعشرين سنة في أورشليم واسم أمه عزوبة بنت شلمي. (١مل ٢٢: ٤١ و٤٢، ١أخ ٢٠: ٣١).

٩- الملكة يهوعدان أم أمصيا

ويهوعدان اسم عبري معناه "يهوه ابتهاج" وهو اسم امرأة يوآش وأم أمصيا خليفته على يهوذا، وكانت من أورشليم (٢مل ١٤: ٢، ٢أخ ١٥: ١).

١٠- الملكة يكليا أم عزريا (عزيا) ابن أمصيا

ويكليا اسم عبري معناه "قدر يهوه" وهي أم عزريا أو عزيا ملك يهوذا (٢مل

١٥: ٢، ٢أخ ٣٦: ٣).

١١- الملكة أبية بنت زكريا وأم حزقيا

وكانت تدعى "أبي" اختصـــار "أبية" أي "الرب أب" أو "الرب أبى" كما يذكر في (٢مل ١٨، ٢أخ ٢٩: ١) وهي ابنة زكريا، وكانت زوجة لآحاز الملك.

١٢- الملكة حفصيبة أم منسى

اسم عبري معناه (مسرتي بها) وهو اسم زوجة الملك حزقيا وابنها منسى (٢مل ٢١: ٢).

١٣- الملكة مشلمة بنت حاروص أم أمون

اسم عبري معناه "من نالت جزاءها أو مكافأتها"، وهي ابنة حاروص من يطْبه وزوجة منسى ملك يهوذا وأم ابنه آمون الذي ملك بعده (٢مل ٢١: ١٩) وذلك في نحو ٦٩٠ ق.م.

١٤- الملكة يديدة بنت عداية أم يوشيا

اسم عبري معناه "محبوبة" وهي زوجة آمون وأم يوشيا (٢مل ٢٢: ١).

١٥- الملكة حموطل أم يهوآحاز

اسم عبري معناه "نسيب الظل" أو "إله الحياة الناضرة" "حمو الطل" أو "نسيب الندى". وهي بنت إرميا من لبنة وزوجة الملك يوشيا وأم ولديه الملكين يهوآحاز

الذي ملك بعده ومتنيا الذي غيَّر ملك بابل اسمه إلى صدقيا (٢مل ٢٣: ٣١)، ويكتب اسمها على صورة "خميطل" (٢مل ٢٤: ١٧و١٨) كما يكتب أيضاً على صورة "حميطل". (إرميا ٥٢: ١).

١٦- الملكة زبيدة بنت فداية أم يهوياقيم

- اسم عبري معناه "الموهوبة" أو "الممنوحة" فهو مؤنث "زبود" وهي إحدى زوجات يوشيا الملك، وأم الياقيم الملك الذي أقامه نخو ملك مصر، وغيَّر اسمه إلى يهوياقيم (٢مل ٢٣: ٣٤- ٣٧، ٢أخ ٣٦: ٨-٤).

١٧- الملكة نحو شتا بنت ألناثان وأم يهوياكين

اسم عبري معناه "نحاس" بنت ألناثان من أورشليم أم الملك يهوياكين، زوجة الملك يهوياقيم (٢مل ٢٤: ٨).

١٨- الملكة ظبية أم يهوآش

وهي من بئر سبع، ويذكرها الوحي الإلهي في (٢مل ١٢: ١، ٢أخ ٢٤: ١) الملكة.

١٩- الملكة يروشا أم يوثام

ابنة صادوق (٢مل ١٥: ٣٣، ٢أخ ٢٧: ١).

ثالثاً: أمثلة للملكة التي تولت الحكم في المملكة

٢٠- ملكة سبأ

ولا يذكر اسم ملكة سبأ في الكتاب المقدس. ولكنها لما سمعت بخبر سليمان، قامت برحلة طويلة وشاقة ومكلفة (١مل ١٠: ١- ١٠ و١٣، ٢أخ ٩: ١-٩ و١٢) لتمتحنه بمسائل. ولعلها أرادت أيضاً أن تعقد معه اتفاقاً تجارياً، إذ كان سليمان يسيطر على طرق التجارة الرئيسية، وكانت القوافل التجارية من أهم مصادر الدخل لسبأ، رغم الزراعة الناجحة بها، نتيجة لنظم الري العظيمة البادية في إقامة "سد مأرب" المشهور. والأطياب والذهب الكثير والحجارة الكريمة التي أتت بها لسليمان (١مل ١٠: ٣ و١٠)، هي بعض ما كانت تحمله القوافل التجارية، التي كانت تجمع بين منتجات شرقي أفريقية، والهند، وجنوبي بلاد العرب، وتذهب بها إلى أسواق غزة ودمشق، مارة بمكة والمدينة وتيماء.

وتشهد النقوش الأشورية واليمنية بوجود ملكات في بلاد العرب منذ القرن الثامن قبل الميلاد على الأقل، كما أن استئناس الجمل واستخدامه في القوافل، قبل عصر سليمان بنحو قرنين أو أكثر، جعل في الإمكان قيام ملكة سبأ برحلتها التي قطعت فيها أكثر من ألفي كيلو متر ذهاباً ومثلها إياباً (١مل ١٠: ٢). وقد قارن الرب يسوع بين مجيء ملكة سبأ "من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان" (مت ١٢: ٤٢)، وبين تجاهل اليهود له، وهو أعظم من سليمان، ويسميها "ملكة التيمن" أي "ملكة الجنوب".

وتذكر الأساطير الأثيوبية هذه الملكة بكل تبجيل، وبخاصة في "كبراناجست" (أي "مجد الملوك") باعتبارها ملكة أثيوبيا التي حملت من سليمان بأول ملك لأثيوبيا. وتعكس هذه الأسطورة الارتباط الشديد -منذ أقدم العصور- بين جنوبي بلاد العرب وشرقي أفريقية. وقد نوه يوسيفوس بذلك حتى ليدعوها "ملكة مصر والحبشة" وكذلك فعل غريغوري النيسي.

وتسميها الأساطير العربية "بلقيس" ولكن الأرجح أن "بلقيس" اسم ملكة جاءت بعد سليمان بعدة قرون، ولكن أطلق اسمها على ملكة سبأ التي زارت سليمان، لأنه كان اسم الملكة الوحيدة المعروفة لديهم[١٦].

٢١- الملكة كنداكة فى الحبشة

اسم ملكة الحبشة التي كان الخصي الحبشي الذي آمن بالرب يسوع المسيح عندما حدثه عنه فيلبس المبشر، وزيراً "على جميع خزائنها" (أع ٨: ٢٧). ويقول بليني وسترابو وغيرهما من المؤرخين أن اسم كنداكة كان لقباً حملته عدة ملكات من ملكات الحبشة في خلال القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد، والقرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد. والمقصود بالحبشة هنا، مملكة النوبة في شمالي السودان، وكانت عاصمتها "مروي" والأرجح أن "كنداكة" المذكورة هنا كانت هي الملكة "أمانيتبر" التي حكمت من ٢٥-٤١م. وقد بنت هي وزوجها عدة معابد في النوبة. وقد كشف الأثريون عن هرمها ومقبرتها في "مروي"[١٧].

الفصل السابع

المرأة تلميذة ليسوع



من هو التلميذ

التلميذ هو من يدرس أو يتعلم، وتستعمل عادة للدلالة على من يتبع معلماً معيناً تمييزاً له عن المعلم نفسه (مت ١٠: ٢٤، لو ٦:٤٠)، وهي لا تعني قبول التعليم فحسب، بل والسير بمقتضاه في الحياة. وكان لإشعياء تلاميذ (إش ٨: ١٦)، وليوحنا المعمدان (مت ٩:١٤، لو ٧:١٨، يو ٣:٢٥)، وكذلك للفريسيين (مت ١٦:٢٢، مر ٢:١٨، لو ٥:٣٣)، ولموسى (يو ٩:٢٨). ولكنها أكثر ما تستخدم للدلالة على أتباع يسوع.

(أ) بالمعنى الواسع (مت ١٠:٤٢، لو ٦:١٧، يو ٦:٦٦) وهي اللقب الوحيد لأتباع يسوع في الأناجيل.

(ب) تستخدم بشكل خاص للدلالة على الاثنى عشر (مت ١٠: ١، ١:١١، ١:١٢ ..الخ).

(جـ) تطلق بعد صعود المسيح على كل من يعترفون بيسوع رباً ومسيحاً (أع ٦: ١ و٢ و٧، ٩:٢٦). وقد "دعى التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً" (أع ١١:٢٦)[1].

شروط التلمذة الحقيقية:

رغم تشبُّه يسوع الظاهري بمعلمي عصره، إلا أنه كان له متطلبات فريدة نحو تلاميذه:

أ- **دعوة:** إن ما يطلب من الإنسان لكي يصير تلميذاً للمسيح، لا الاستعدادات

الذهنية، ولا حتى الأدبية، بل النداء الحر الذي يوجهه له يسوع (مرقس ١ :١٧-٢٠، يوحنا ١ :٢٨-٥٠) ومن خلاله، الأب الذي يعطي ليسوع تلاميذه (يوحنا ٦: ٣٩ ، ١٠ :٢٩ و١٧ :٦ و١٢).

ب- تعلق شخصي بالمسيح: ليس من الضروري أن يكون الإنسان عالماً، لكي يصير تلميذاً للمسيح، إذ أن العلاقة التي تربط بين التلميذ والمعلم لا تقوم فقط ولا حتى أساساً على مستوى ذهني. يقول يسوع لتلميذه: "اتبعني". وفي الأناجيل، يدل دوماً لفظ "يتبع" على الإنسان المرتبط بشخص يسوع (متى ٨ :١٩ ..). إن اتِّباع يسوع بالنسبة إلى صفوة تلاميذه، يعني قطع كل علاقة بالماضي قطعاً باتاً، كما يعني الاقتداء بمثاله وسماع تعاليمه، ومطابقة الحياة على سيرة المخلص (مرقس ٨: ٣٤-٣٥، ١٠ :٢١ و٤٢-٤٥، يوحنا ١٢: ٢٦).

ويختلف تلاميذ المعلمين اليهود عن تلاميذ يسوع، فقد كان للأولين، بعد تفقههم في الشريعة أن ينفصلوا عن معلميهم، وأن يعلموا بدورهم. أما تلميذ يسوع فإنه لا يرتبط بتعليم بل بشخص، ولذا فهو لا يستطيع أن يترك معلمه الذي أصبح مرتبطاً به أكثر من أبيه وأمه (متى ١٠ :٣٧، لو ١٤ :٢٥-٢٦).

جـ- مصير وكرامة: يطالب تلميذ يسوع بمشاركة المعلم في المصير نفسه: عليه أن يحمل صليبه (مرقس ٨: ٣٤)، ويشرب كأسه (مرقس ١٠: ٣٨-٣٩). وأخيراً ينال الملكوت (متى ١٩: ٢٨-٢٩، لوقا ٢٢ :٢٨-٣٠، يوحنا ١٤ :٣). ولذلك فمنذ الآن كل من سقى تلميذاً، ولو كوب ماء لأنه تلميذ فأجره لن يضيع (متى ١٠ :٤٢) وبالعكس. فما أعظم ذنب من يعرِّض للخطيئة أحد هؤلاء الصغار المؤمنين

(مرقس ٩: ٤٢)(٢).

المرأة والتلمذة ليسوع

من خلال الإيضاح السابق لمفهوم التلمذة، نجد أن التلميذ هو كل إنسان مؤمن يعترف بيسوع المسيح رباً ومخلصاً له كما هو واضح في الجانب الثالث. وهو الذي يجلس عند قدميه يتعلم من كلمات الحكمة الخارجة من فمه. وهناك مواقف كثيرة في الكتاب المقدس نجد فيها المرأة جالسة عند قدمي يسوع تتعلم منه، كما سيتضح أكثر فيما يلي. ومن خلال نظرتنا لشروط التلمذة ليسوع نجد أنها تنطبق كلها تماماً على المرأة من حيث دعوتها ومن حيث تعلقها الشخصي وارتباطها القوي بيسوع، ومن حيث مضيرها وكرامتها واستعدادها لحمل الصليب مع يسوع.

ومن خلال دراستنا بدقة لمعجزة الإشباع الأولى بخمس خبزات وسمكتين في (مت ١٤:١٥-٢١، مر ٦:٣٥-٤٤، لو ٩: ١٢-١٧، يو ٦: ٥-١٤) يقول الوحي عن الجموع التي أكلت "والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد" (مت ١٤: ٢١). معنى هذا الكلام أن الجموع التي التفت حول يسوع ليس فقط من الرجال لكن من النساء أيضاً، وهذه الجموع كما يتضح من بشارة القديس يوحنا كانت تتبع يسوع وتتعلم منه وصنع معها الكثير من المعجزات وذلك قبل حدوث معجزة الإشباع. فبعد تعاليمه الكثيرة الواردة في (يو ٥) يقول الوحي في بداية الأصحاح السادس: بعد هذا مضى يسوع يستكمل الحديث عن باقي المعجزة مع نفس الجموع.

وبنفس الفكر في معجزة إشباع الأربعة آلاف من خلال سبع خبزات وقليل من صغار السمك في (مت ١٥: ٣٢-٣٩) أن الجموع قضت مع يسوع ثلاثة أيام في التعليم وصنع المعجزات، وخاصة إبراء المرضى والجموع التي كانت ملتفة حول يسوع وتلقت تعاليمه كانت من الرجال والنساء حسب قول البشير متى "والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد" (مت ١٥: ٣٨).

وفي زيارة يسوع لبيت مريم ومرثا (لو ١٠: ٣٨-٤٢) يقول الوحي عن هذه الزيارة: "وفيما هم سائرون دخل قرية فقبلته امرأة اسمها مرثا في بيتها، وكانت لهذه أخت تدعى مريم التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه (لو ١٠: ٣٨ و٣٩). والجلوس هنا جلوس التلاميذ لدى المعلم كما أنها أظهرت إكرامها للمسيح بترك كل أعمال البيت وأصغت إلى تعاليمه[٣].

وهو نفس الجلوس المذكور عن مريض كورة الجدريين الذي شفاه يسوع وأخرج منه اللاجئون أي الشياطين الكثيرة، فبعد ذلك يقول الوحي بلسان البشير لوقا إن الجموع أتت من المدينة والضياع المجاورة فوجدوا يسوع والإنسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمي يسوع. والجلوس هنا يدل على عظمة التغيير في شخصيته، وعلى رغبته في التعلم، وشكره ومحبته ليسوع (لو ١٠: ٢٦ و٢٩).

وفوق كل هذا ينطق الوحي لفظاً صريحاً عن تلمذة المرأة في قوله عن طابيثا "وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة" (أع ٩: ٣٦).

الفصل الثامن

المرأة معلمة في الكنيسة



في العهد الجديد، وبمجيء المسيح إلى عالمنا، أصبح جميع المؤمنين أعضاء في جسد المسيح وأصبحوا ملوكاً وكهنة لله الآب. أمة مقدسة شعب اقتناء. هذا المقام لم يكن قاصراً على الذكور فقط بل يشمل جميع المؤمنين. وهو تحقيق لوعد الله إذ سكب روحه على كل بشر ليتنبأ البنون والبنات والعبيد والإماء ويرى الشباب رؤي ويحلم الشيوخ أحلاماً (أع ٢: ١٧ و١٨). ولقد خلق الله الإنسان على صورته، ذكراً وأنثى خلقهم وبذلك أعطى القيمة له كإنسان وليس كجنس معين. وبالروح القدس يعيد الله إلى الإنسان الصورة الإلهية التي خُلق عليها.

فإذا كان الروح القدس هو ينبوع المواهب التي تنبثق منها أنواع الخدمات المختلفة في الكنيسة، فكيف نمنع الخدمة عمن رضي الله أن يعطيهم روحه. إننا في ذلك نكون أشبه بمن يمنع معمودية الماء عمن عمدهم الله بالروح القدس(١).

ومن أهم هذه العطايا، أو هذه المواهب موهبة التعليم في الكنيسة. هل يا ترى يجوز للمرأة أن تعلم في الكنيسة أم لا؟ هناك رأي للبعض يقول إنه يجوز ولا يوجد مانع. وهناك آخر يرفض أن المرأة تعلّم في الكنيسة. وهناك رأى ثالث يقول: المرأة يمكنها أن تعلّم في اجتماعات السيدات فقط. ونحن هنا لا نعطي الآن رأياً قاطعاً أمام القارئ إلا بعد الدراسة الدقيقة والموضوعية لهذا الأمر. ويمكننا أن نتوصل بعد ذلك إلى الرأي الصحيح بخصوصه لكي نضعه أمام الكنيسة كنور إلهي يمكنها أن تسير عليه.

وقبل أن نتكلم عن المرأة والتعليم في الكنيسة أرى أنه جدير بنا أن نفهم شيئاً ولو بسيطاً عن التعليم وأسلوبه، ومن كانوا يقدمونه في الكتاب المقدس بعهديه

القديم والجديد.

التعليم في العهد القديم:

هناك اثنتا عشرة كلمة عبرية تفيد معنى "علّم" ومشتقاتها، وأم هذه الكلمات هي:

(١) "يادا" (yada) ومشتقاتها، وقد وردت في العهد القديم أكثر من ٩٤٠ مرة ترجمت في غالبيتها العظمى إلى "علم" ومشتقاتها (انظر مثلاً تث ٤ :٩، قض ٨: ١٦، ٢أخ ٣:٢٣، عز ٢٥:٧، أي ٣٧: ١٩، مز ٩٠: ١٢، أم ٩: ٩، إش ٤٠: ١٣ ..الخ)، كما ترجمت أيضاً إلى "يعرف" (انظر مثلاً مز ٥١: ٦، ١٤٣: ٨).

(٢) "لاماد" (lamad) ومشتقاتها، وقد وردت في العهد القديم أكثر من ٨٥ مرة، تُرجمت أيضاً في غالبيتها إلى "علم" ومشتقاتها (انظر مثلاً تث ٤: ١ و٥ و١٠ و١٤، ٣١:٥ .. قض ٣: ٤، ٢صم ١٨:١ ..الخ).

(٣) "يارا" (yara) ومشتقاتها، وقد وردت في العهد القديم أكثر من ٧٠ مرة، ترجمت في غالبيتها إلى "علم" ومشتقاتها (انظر مثلاً خر ٤: ١٢، ٢٤: ١٢، ٤:٣٥، لا ١٠: ١١ ... الخ)(٢).

التعليم في العهد الجديد:

توجد بضع كلمات يونانية تؤدى معنى "علم" ولكن أهمها وأكثرها استخداماً هي كلمة "ديداسكو" (didasko) ومشتقاتها.

وعن التعليم في الكنيسة: يشير العهد الجديد إلى "الكلمة الصادقة" و"التعليم

الصحيح" (تي ٢: ٧، ١: ٩)، الذي سلم للكنيسة (رو ٦: ١٧، ١٦: ١٧، أف ٤: ٢١، كو ٢: ٧، تس ٢: ١٥، ٢تي ٢: ٢، يهوذا ٣). وكان المؤمنون الأوائل في الكنيسة في أورشليم "يواظبون على تعليم الرسل" (أع ٢: ٤٢). وكان هذا التعليم يشمل أسفار العهد القديم، الذي يقول عنه الرسول بولس إنه كتب لأجل تعليمنا (رو ١٥: ٤). وأنه نافع "للتعليم" (٢تي ٣: ١٦)، انظر أيضاً (١تي ١:٨-١٠). والتعليم المسيحي هو وحده (١تي ١: ٣) الذي يجب أن يودع لأناس "أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً" (٢تي ٢: ٢). فكان يجب أن يكون الأسقف أو الشيخ "صالحاً للتعليم" (١تي ٣: ٢)، "ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح" (تي ١: ٩)، مطيعاً من القلب لصورة التعليم التي تسلمها ليتحرر من العبودية للخطية ويصبح عبداً للبر (رو ٦: ١٧و١٨). وهذا التعليم الصحيح "يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى" (١تي ٦: ٣)، ليكون "خادماً صالحاً ليسوع المسيح متربياً بكلام الإيمان والتعليم الحسن" (١تي ٤: ٦).

ويقول الرب يسوع إن "من عمل وعلّم، فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات" (مت ٥: ١٩). وقد وبّخ الرب يسوع تعاليم الكتبة والفريسيين لأنهم يعبدون الله باطلاً وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس" (مت ١٥: ٩، مرقس ٧:٧، انظر إش ١٣:٢٩). ويحذر الرسول يعقوب قائلاً: "لا تكونوا معلمين كثيرين" (يع ٣: ١) لأن ذلك يتضمن مسئولية أعظم[٣].

التعليم في الكنيسة الأولى

وقد كان هناك معلمون يقدمون التعليم في الكنيسة الأولى، فالرسول بولس يذكر مراراً أن الرب جعله "كارزاً ورسولاً.. معلِّماً للأمم في الإيمان والحق" (١تي ٢: ٧، ٢تي ١: ١١)، كما يشير إلى تعليمه (٢تي ٣: ١٠، ١كو ٤: ١٧). ويقول إن "الإنجيل الذي بشرت به، إنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان، ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح" (غل ١: ١١ و١٢). كما يبين هدفه من الكرازة بالمسيح بالقول: "منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة، لكي نحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع" (كو ١: ٢٨). ومن بين المواهب التي يمنحها الرب يسوع المقام من الأموات للكنيسة، أنه "أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح" أي الكنيسة (أف ٤: ١١ و١٢).

واجبنا تجاه التعليم والذين يقومون به

وكان المعلم في الكنيسة يقوم بخدمته بناء على تعيين إلهي وتأهيل من الروح القدس (١كو ١٢: ٢٨). ويجب على كل من وضع عليه الرب مسئولية التعليم في الكنيسة أن يلتزم بخدمته بكل أمانة ومثابرة (رو ١٢: ٧، ١تي ٤: ١١ و١٣و ١٦) بالتعليم الصحيح (تي ٢: ١) في إيمان ومحبة وصبر (تي ٢: ٢). والذين يقومون بهذه الخدمة يجب أن "يحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة" (١تي ٥: ١٧). وعلى المتعلم أن يشارك "المعلم في جميع الخيرات" (غل ٦: ٦). وخادم الرب "لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقاً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقات، مؤدباً بالوداعة

المقاومين" (٢تي ٢: ٢٤ و٢٥)[٤].

المرأة والتعليم في الكنيسة

نعود للسؤال الذي طرحناه سابقاً وهو: هل يجوز للمرأة أن تُعلِّم في الكنيسة؟ ونحاول أن نجيب عليه بموضوعية تامة كما وعدنا سابقاً. وفي رأيي الشخصي يجوز للمرأة أن تُعلِّم في الكنيسة في الاجتماعات العامة ولا يوجد أي مانع يمنعها على الإطلاق للأسباب الآتية:

(١) من خلال مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات في كل شيء بما فيها العبادة والخدمة في عمل الرب، وقد أفرزنا فصلاً خاصاً عن ذلك ولا يحتاج الأمر هنا للإسهاب أو الإطالة مرة أخرى.

(٢) أعطى الرب للمرأة شرف القيام بخدمة النبوة في العهد الجديد والعهد القديم، ويوجد نماذج وأمثلة كثيرة في العهدين، وقد أفرزنا فصلاً خاصاً للمرأة باعتبارها نبية. ولا نحتاج أيضاً للإطالة مرة أخرى هنا ولكن ما نريد أن نركز عليه أن الدور الرئيسي لوظيفة النبي هو التعليم والوعظ لتوصيل رسالة الرب للناس. وقد رأينا يوشيا الملك يسترشد بخلدة النبية لمعرفة أقوال الله للمملكة، وهكذا في العهد الجديد نرى الرسول بولس لا يمانع أن المرأة تتنبأ في الكنيسة، لكن كان اعتراضه على عدم وجود غطاء الرأس أثناء التنبؤ وقد كان لظروف خاصة.

(٣) يذكر الوحي الإلهي عدة مرات بريسكلا مع زوجها أكيلا، فقد أعطاها الرسول بولس لقب "العاملين معي في المسيح يسوع" (رو ١٦: ٣). وهذا

اللقب يوضح عملها في التبشير الذي يتم عن طريق تعليم الرب للناس، فقد ذكر في (أع ١٨:٢)، وقيل إنهما تركا رومية لأمر كلوديوس قيصر بنفي اليهود منها، فكانا مع بولس في كورنثوس سنة ونصف سنة ورافقاه إلى أفسس (أع ١٨: ١٨)، ثم رجعا إلى رومية عندما تم إلغاء أمر كلوديوس أو عدم الالتفات إليه كما يظهر من ذكرها هنا، ثم رجعا إلى أفسس (أع ١٨: ٢٦، ١كو ١٦: ١٩، ٢تي ٤:١٩). ويذكرها الرسول بولس بنوع من التقدير مع زوجها في خدمة الرب والتضحية من أجله قائلاً عنهما "اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي "أي عرَّضا أنفسهما لأشر الأخطار بغاية حمايتي"، فهو يتكلم عن حادث من حوادث الشغب التي كانت في كورنثوس (أع ١٨: ٦-١٠). وحادث آخر تعرّض فيه للخطر في أفسس (أع ١٩: ٣١).

ويذكر الرسول بولس في أكثر من مرة قبل زوجها أثناء حديثه عنهما. وأهم ما في الأمر هنا في حديث الوحي عنها في الدور التعليمي الذي قامت به مع زوجها في شرح طريق الرب لأبلوس، إذ يقول عنه الوحي: "إنه يهودي إسكندري الجنس رجل فصيح مقتدر في الكتب كان هذا خبيراً في طريق الرب وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلّم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط، وابتدأ هذا يجاهر في المجمع فلما سمعه أكيلا وبريسكلا أخذاه إليهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق" (أع ١٨: ٢٤-٢٦). والتعبير "شرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق"

معناه أوضحا له كل التعليم الإنجيلي كما تعلماه من بولس، ومن ذلك أن المسيح قد أكمل الناموس كله وأن موته كان فداء للعالم، وأنه لم يبق من حاجة إلى ذبائح الهيكل. وأنباه بموهبة الروح القدس وبالمعمودية المسيحية وغير ذلك من التعاليم.

(٤) يذكر الرسول بولس إفودية وسنتيخي كزميلتي خدمة في الإنجيل، فقد تعين كثيراً في خدمة الرب فيوصي الرسول عنهما أحد الأشخاص المخلصين قائلاً: "ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل (في ٤: ٢ و٣). وهنا نضع الاحتمال لمعنى التعبير "جاهدتا معي في الإنجيل" بأنهما شاركتا بولس في التبشير بالإنجيل في مجيئه الأول إلى فيلبي، وأن خدمتهما كثيراً ما اقترنت بالمشقة والخطر. ونفس التعبيرات التي استخدمها الرسول مع أفودية وسنتيخي "جاهدتا في الإنجيل" استخدمها مع رجال لهم خدمتهم مثل تيموثاوس وتيطس.

(٥) يشير الرسول بولس في (رو ١٦) بالتقدير إلى ثماني نساء، ويبدأ حديثه عنهن بتزكية فيبي التي يقول عنها "اختنا فيبي خادمة" كنيسة كنخريا التي صارت مساعدة لكثيرين ومن ضمنهم بولس. ثم يرسل التحيات إلى كثيرين منهم تريفيا وتريفوسا وبرسيس اللاتي يقول عنهن جميعاً "إنهن تعبن كثيراً في خدمة الرب".

(٦) ما حدث في يوم الخمسين إتماماً للنبوات، لقد سكب الله روحه "على كل جسد" وهذا شمل "البنين والبنات" و "العبيد والإماء". فإذا كانت موهبة

الروح قد انسكبت على جميع المؤمنين من كلا الجنسين، فكذلك انسكبت مواهبه. فليس هناك برهان ولا حتى تلميح إلى أن "المواهب" Charismata كانت مقتصرة على الرجال. فالأمر على العكس، إذ كانت هبات الروح موزعة على الجميع للخير المشترك محققة ما يدعى في كثير من الأحيان "خدمة كل عضوٍ في جسد المسيح". لذا ينبغي أن نستنتج أن المسيح لا يعطي النساء مواهب فقط (بما في ذلك موهبة التعليم)، ولكنه إلى جانب المواهب يصدر دعوته لتطويرها وممارستها في خدمته وخدمة الآخرين، لأجل بنيان جسده(٥).

(٧) عطايا الروح القدس الوارد الحديث عنها في رسالة أفسس في قول الرسول بولس: "وهوأعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح" (أف ٤: ١١ و١٢). وقد ورد الحديث عنها في شواهد أخرى في رسالتي رومية وكورنثوس الأولى. فمن ضمن العطايا هنا "التعليم في الكنيسة" وكلمة "البعض" لا يمكن لإنسان أياً كان لاهوتياً ضليعاً أن يجزم على الإطلاق أن المقصود بها للرجال فقط ولكنها للرجال والنساء أيضاً. فإذا كان الروح القدس يعطي المرأة عطايا لتخدم بها هل نمنعها نحن ونغلق الأبواب أمامها.

عقبات أمام دور المرأة التعليمي

إذ كان الأمر هكذا ويجوز للمرأة أن تقوم بدور تعليمي في الكنيسة فما هو

موقفنا من أقوال الرسول بولس الواردة في رسالتي كورنثوس الأولى وتيموثاوس الأولى والتي يقول فيها "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن يتكلمن في كنيسة" (١كو ١٤: ٣٤ و٣٥). وقوله (لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلِّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت". (١تي ٢: ١١). ألم يمنع الرسول المرأة أن تعلِّم في الكنيسة في أقواله السابقة هذه؟ وللإجابة على هذا السؤال يعطينا استنارة كافية للقول الوارد في (١تي ٢: ١١) المفسر اللاهوتي وليم باركلي[٦] ليوضح لنا لماذا كتب الرسول بولس هذه النصوص. كما يوضح لنا أنها أُعطيت لظروف خاصة ولمجتمعات خاصة وليست كمباديء عامة للكنيسة في كل حياتها بعد ذلك.

الظروف الخاصة التي كُتبت بخصوصها هذه الآيات

لا يمكن قراءة هذا النص الكتابي دون معرفة التاريخ الذي أحاط به، فهو وليد الظروف التي كُتب فيها. وهو مكتوب في ظل تاريخ مزدوج.

أقوال كُتبت في ظل التاريخ اليهودي

في وجهة النظر اليهودية الرسمية، كانت المرأة في مستوى دنيء. حقيقة لم تنل المرأة في شئون العائلة والمنزل مكانة مثل تلك التي حصلت عليها في الدولة اليهودية. ولكن مركز المرأة رسمياً ظل في الحضيض. لم يعتبر القانون اليهودي

المرأة شخصاً له كيان، بل شيئاً، كانت بكل ما لها تحت أمر أبيها أو زوجها. كانت ممنوعة من دراسة الناموس، وتعليم المرأة في الناموس كإلقاء اللآليء أمام الخنازير. لم يكن للنساء أي دور في خدمة المجمع، بل كن يُحجزن في قسم خاص بالمجمع، أو في الرواق، حيث لا يُشاهدن، ولا يسمح لهن بممارسة أي خدمة. يأتي الرجل إلى المجمع ليتعلم، ولكن على أكثر تقدير تأتي المرأة لتسمع. في المجمع، تُقرأ الكتابات المقدسة بواسطة أعضاء من المجتمعين، ولكن لا يسمح للنساء بالقراءة، لئلا يقلل هذا من "كرامة المجمع". وكان محرماً بتاتاً على المرأة أن تدرس في مدرسة، حتى ولو كان هذا لأصغر الأطفال. وكانت المرأة معفاة من طلبات الناموس المعروفة فلم يكن محتماً عليها حضور الاحتفالات المقدسة والأعياد. احتسب النساء والعبيد والأطفال في طبقة واحدة. في الصلاة اليهودية الصباحية، يشكر الرجل الله لأن الله لم يجعله "أممياً أو عبداً أو امرأة".

وفي كتاب "أقوال الآباء" يذكر المعلم جوزيه بن جوهانان: "ليكن بيتك مفتوحاً. وليكن الفقراء أهلك وعشيرتك. ولا تتحادث كثيراً مع المرأة، وكان يقصد بهذا زوجته. ويقل الحديث كثيراً إذا كانت المرأة زوجة آخر. لهذا قال الحكماء: "من تكلم كثيراً مع امرأة يجلب الشر على نفسه، ويتوقف عن عمل الناموس. وأخيراً يصل إلى جهنم". والمعلم الأصيل لا يسلِّم على امرأة في الشارع، حتى لو كانت زوجته أو ابنته أو أمه أو أخته. وقيل عن النساء: "عملها أن ترسل أطفالها إلى المجمع، الاهتمام بالشئون المنزلية، تترك زوجها حراً لكي يدرس في المدارس، وتدير له البيت حتى يعود". يجب أن نتذكر أنه في مثل هذه البيئة اليهودية نشأت الكنيسة.

أقوال كُتبت في ظل التاريخ اليوناني

كان مكان المرأة في الدين اليوناني منخفضاً. ضم معبد أفروديت في كورنثوس ١٠٠٠ كاهنة، كن عاهرات مقدسات يعرضن بضاعتهن كل مساء في شوارع المدينة. وضم معبد ديانا في أفسس مئات من الكاهنات وكانت وظيفتهن مماثلة. كانت المرأة اليونانية المحترمة تحيا حياة محدودة تماماً. تعيش داخل جناحها الذي لا يدخله إلا زوجها. لم تكن تظهر حتى لتناول الطعام. ولا يمكن أن تخرج بمفردها إلى الشارع، ولا يمكن أن تذهب إلى اجتماع عام. أو تشارك بكلام أو عمل. والحقيقة هي أنه لو كانت النساء المسيحيات في مدينة يونانية قد شاركن بعمل فعلي في نشاطات الكنيسة من تعليم ووعظ لكان من المحتم وصم الكنيسة بأنها مركز للنساء الخليعات الفاسدات. لذلك لم يكن ممكناً في أي مجتمع يوناني وضع تنظيمات غير موجودة فعلاً.

وفوق هذا، فإن نساء المجتمع اليوناني. لم يكن لهن اهتمام سوى اقتناء الملابس الفاخرة وتضفير الشعر. ومن روما، يقص علينا بليني Plipiny أن عروساً لوليا بولينا بالاسم تكلَّف فستان زفافها ما قيمته حالياً ٤٣٢,٠٠٠ دولار. بلغت محبة الملبس ومحبة العرض. ومحبة الحلي بين بعض نساء اليونان والرومان درجة كانت تصدم اليونانيين والرومان أنفسهم. دعت أديان اليونان العظيمة ديانة الأسرار، وهي تتضمن، على وجه الدقة نفس الأنظمة عن الملابس. هناك حفرية تقرأ كالتالي: "المرأة المكرسة لا تقتني حلياً ذهبية. أو أحمر شفاه. أو بودرة للوجه. أو عصابة للرأس، أو شعراً مضفراً، أو أحذية إلا ما كان مصنوعاً من

اللباد أو جلود حيوانات القرابين". لم تضع الكنيسة المسيحية هذه الأنظمة على أنها أنظمة دائمة، ولكنها وجدتها ضرورية لتستطيع الكنيسة أن تتعايش مع الظروف التي وجدت فيها.

لا يجب أن نأخذ هذا الجزء على أنه عائق ضد أعمال وخدمة النساء داخل الكنيسة، بل يجب أن نقرأه في ضوء تاريخه اليهودي وفي ضوء الموقف في مدينة يونانية. كما يجب أن ننظر وجهة نظر بولس الدائمة أن كل الاختلافات قد زالت، وأن الرجال والنساء، العبيد والأحرار، اليهود والأمميين، الجميع واحد لهم نفس الحقوق في خدمة المسيح.

الإيضاح التفصيلي لأقوال الرسول في ١كو ١٤ عن صمت المرأة

أما عن النص الوارد في (١كو ١٤) أرى أن القضية الرئيسية في هذا النص ليست هي عن المرأة والخدمة في الكنيسة، ولكنها عن الناس في دراستهم للكتاب المقدس. فالناس اعتادت أن تخطف آية وتعزلها عن القرينة وتبني عليها عقائد وتكوِّن عليها مباديء دون أن تنظر إليها بعمق وترو وبحث دقيق لمعرفة المعنى الصحيح المقصود منها، ولماذا قيلت؟ وهل هي خاصة لتناسب زمن معين ومجتمع معين أم هي دائمة للجميع؟ فمثلاً لو نظرنا في كلام الرسول عن الصمت في (١كو ١٤) نجد فيه ملاحظتين مهمتين:

الملاحظة الأولى: أن الرسول لم يطالب المرأة فقط بالصمت، لكنه يطالب الرجل قبل المرأة. ففي الآية ٢٨ يطالب المتكلمين بالألسنة أن يصمتوا في الكنائس إذا لم يكن هناك مترجم. وفي الآية ٣٠ يطالب النبي أن يصمت ويتوقف عن الكلام إذا

أعطى إعلاناً لشخص آخر في الآية ٣٤ وما يليها. ويطالب النساء الثرثارات أن تصمتن في الكنائس، إذا كان لديهن أسئلة فيمكن أن يوجهنها إلى أزواجهن عندما يذهبن إلى بيوتهن.

الملاحظة الثانية: يتضح من النص الكتابي المقصود عن صمت المرأة في الكنيسة أن الامتناع لم يكن عن التسبيح أو التنبؤ أو التعليم أو غير ذلك، لأننا إذا فهمنا قصد الرسول بولس بالسكوت هو امتناع السيدات عن العبادة أو الخدمة فكأننا نوقع الرسول في تناقض وحاشا للكلمة المقدسة أن تكون كذلك، فالرسول نفسه كان قد أشار قبل ذلك إلى النبيات (١كو ١١: ١٥)، وهو هنا يسمح لكل واحد بأن يشارك بترنيمة أو كلمة وعظ أو إعلان أو لسان أو ترجمة في الآية ٢٦ دون أن يقصر هذا على الرجل. فالمقصود هنا أن السيدات عندما يكون لديهن أسئلة ويحتجن إلى إجابة عليها يمكن أن يسألن أزواجهن عنها في البيت، وذلك واضح جداً في الآية ٣٣ و٣٤ وذلك لمنع التشويش أثناء العبادة.

ويتناول قضية النصين اللذين يتكلمان عن سكوت المرأة في الكنيسة أحد اللاهوتيين المفكرين العظماء الدكتور القس چون ستوت(٧).

لاهوتي عظيم يحل اللغز

يقول اللاهوتي العظيم چون ستوت إنه قد بذلت محاولات من قِبل البعض لفهم (١تي ٢: ١١)، وما يليها كتلميح إلى حركة هرطوقية تطالب بالمساواة بين الجنسين. ولكنني شخصياً لا أظن أن هذه المحاولات ناجحة. فوصية الرسول تبدو عامة تماماً: "لتتعلم المرأة بسكوت وبكل خضوع. ولست آذن للمرأة بأن تعلِّم ولا

تتسلط على الرجل. بل تكون في سكوت". وما يصدمني في هذه العبارات (وفي ١كو ١٤ : ٣٤)، ولم يظفر بقسط كاف من تفكير المفسرين، هو أن بولس يعبر عن تناقضين، أولهما التناقض بين "لتتعلم بسكوت" أو "لتصمت" وبين "أن تعلِّم"، والتناقض الثاني بين "بكل خضوع" وبين "سلطة". والتناقض الأخير أمر جوهري، حسبما يؤكد تعليم بولس الدائم بشأن خضوع الأنثى لرئاسة الذكر، وهو متأصل في الرواية الكتابية للخلق (لأن آدم جبل أولاً ثم حواء). لكن الوصية الأخرى (مطلب الصمت وحظر التعليم)، بالرغم من الإشارة المثيرة التي تدل إلى حقيقة أن حواء "خُدعت" وليس آدم، تبدو تعبيراً عن تلازم السلطة –الخضوع أكثر مما تبدو إضافة إليها. لا يبدو أنه يوجد في نوع الجنس أي شيء متأصل يجعل من غير الملائم عموماً أن تقوم النساء بتعليم الرجال، ومع أن مطلب "الخضوع" يسري مفعوله بصورة دائمة وشاملة، لأن أساسه في الخليقة، فإنني أود أن أسأل عما إذا كان من المحتمل أن يكون مطلب "الصمت" "تطبيقاً ثقافياً في القرن الأول لمطلب تغطية الرأس الوارد في (١كو ١١)؟. فهل يمكن إذاً أن يكون مطلب الصمت الأنثوي ليس خطراً مطلقاً لقيام النساء بتعليم الرجال، بل بالحري خطراً لأي نوع من التعليم ينتهج مبدأ رئاسة الذكر؟

جوابي المؤقت على السؤالين اللذين طرحتهما هو بالإيجاب. وأعتقد أنه توجد مواقف يكون من الملائم فيها تماماً أن تعلِّم النساء، وأن يعلِّمن الرجال، شريطة ألا يمارسن خلال ذلك سلطة خاطئة على الرجال هي ليست من حقهن. ولكي يكون هذا الشرط محققاً ينبغي أن تتوفر ثلاثة شروط تتعلق بالمضمون والسياق

وطراز التعليم.

أولاً: المضمون: لقد اختار يسوع رسله وعينهم وأوحى إليهم لكي يكونوا معلمين للكنيسة، وكانوا جميعاً من الرجال، وذلك لأن قيامهم بالتعليم الأساسي تطلب درجة رفيعة من السلطة. أما اليوم فالموقف مختلف تماماً. فالأسفار القانونية قد اكتملت منذ عهد بعيد، ولا يوجد رسل في الكنيسة. فإن الوظيفة الأولية الآن لمعلمي الكنيسة هي "حفظ وديعة" التعليم الرسولي الوارد في العهد الجديد، وتفسير هذا التعليم. لذلك فإن هؤلاء المعلمين لا يدّعون بأنهم يتمتعون بالسلطة، لكنهم يضعون أنفسهم وتعليمهم تحت سلطان الكتاب المقدس. وما دام الأمر كذلك ألا يمكن أن تحسب النساء في عداد المعلمين؟

ثانياً: هناك سياق التعليم الذي يجب أن يكون خدمة جماعية في الكنيسة المحلية. وقد عين بولس، مباشرة أو بصورة غير مباشرة "شيوخاً" في كل كنيسة. وهناك عدة كنائس محلية في أيامنا هذه تقلع عن خدمة الرجل الواحد غير الكتابية، وتعود إلى النموذج الصحيح الوارد في العهد الجديد، وهو نموذج الإشراف الرعوي المتعدد. يستطيع أعضاء فريق ما أن يفيدوا من مجموع مواهبهم معاً، وينبغي أن يكون في هذا الفريق امرأة أو أكثر. ولكن توخياً للانسجام مع التعليم الكتابي الذي ينص على رئاسة الذكر، أظن أنه ينبغي أن يرأس الفريق رجل. إن ممارسة "النقل الحضاري" تحاول أن تلبس جوهر الوحي لباساً ثقافياً ملائماً جديداً. ففي القرن الأول كان يعبر عن الرئاسة الذكرية بمطلب أغطية الرأس الأنثوية، وحظر قيام النساء بتعليم الرجال. ألا يمكن أن يعبر عنها

اليوم بطريقة تكون أمينة للكتاب المقدس وتكون أيضاً ملائمة للقرن العشرين، كأن تساهم الإناث في خدمات جماعية يقودها الرجال؟ كذلك ينبغي على مفهوم الفريق أن يهتم بمشكلة التأديب الكنسي. إن التأديب يتضمن السلطة، كما يقال بحق، لذلك لا يجوز أن يمارس من قِبل امرأة. ولكن لا يجوز أيضاً أن يمارس من قِبل رجل بمفرده. فالأسلوب المثالي هو أن ينفذ التأديب (لاسيما في درجته القصوى، الفصل) من قِبل كامل أعضاء الكنيسة المحلية، قبل أن يتوصل فريق من القادة أو الشيوخ معاً إلى حكم نهائي.

ثالثاً: إن الشرط الثالث الذي يجعل قيام النساء بالتعليم أمراً مقبولاً يتعلق بأسلوب التعليم. فلا يجوز أن يكون المعلمون المسيحيون متفاخرين، سواء كانوا من الرجال أو النساء. ويجب أن يتحلى تواضع المعلمين (أو المعلمات) المسيحيين بخضوعهم لسلطة الكتاب المقدس وبروح التواضع الشخصي. لقد حذر يسوع رسله من تقليد فاشيستية الفريسيين المفعمة بالغرور أو دكتاتورية حكام العالم الجائعين إلى السلطة. وبالنظر إلى أن الرسول بطرس كاد يجرِّب بتجربة الكبرياء التي يتعرض لها القادة المسيحيون، فقد ألحَّ على زملائه القادة أن يتسربلوا بالتواضع غير سائدين على الذين أؤتمنوا على رعايتهم، بل بالحري صائرين أمثلة لرعية المسيح. هذه الوصية الموجهة إلى الرجال تكون مجسدة وبصورة أكثر وضوحاً في النساء اللاتي توصلن إلى فهم هويتهن الأنثوية.

يبدو إذن أن قيام النساء بتعليم الرجال أمر جائز كتابياً بشرط أن يكون مضمون التعليم كتابياً وسياقه جماعياً (ضمن فريق) وأسلوبه متواضعاً.

نظرية الثابت والمتغير[8]

توضح هذه النظرية أن كل رسائل العهد الجديد مكتوبة لمجتمعات محددة، فهذه رسالة إلى أهل رومية أو كورنثوس أو أفسس أو كولوسي.. أو لأشخاص معينين مثل الرسالة إلى تيموثاوس أو فليمون. في كل هذه الرسائل كان الرسول وهو يكتب يناقش قضايا مطروحة في الكنائس، وأحياناً يتحدث عن مشكلات محددة قائمة فيها مع مراعاة أن الذين سجلوا الوحي هم أناس الله القديسون كتبوه مسوقين من الروح القدس (٢بط١: ٢٢)، وما كتب في تلك العصور لم يكن لتلك العصور وحدها بل كتب لتعليمنا نحن الذين نعيش في الأيام الأخيرة.

ونشهد التوفيق بين "الثابت والمتغير" في كتابات الرسل بوضوح. "فالثابت" هو القيم والمبادىء العامة المستمرة. "والمتغير" هو ما يرتبط بمشكلة محددة، والمشكلة الخاصة غالباً مرتبطة بمن يكتب لهم أو بالعصر الذي كُتبت فيه.

كلا، الثابت والمتغير كُتب لنا، وإنما من خلال أسلوبين متميزين. فالثابت مستمر أما المتغير فهو نموذج لأسلوب علاج لموقف. ومن خلال علاقة القضية والحل يمكننا مقارنتها بالمواقف المشابهة وتطبيقها. فالوحي المقدس هو تفاعل الله مع الخليقة، من خلال أحداث. وأشخاص و تاريخ. والله إله التاريخ يتفاعل اليوم، كما تفاعل بالأمس من خلال الأحداث.

والوحي المقدس متدرِّج، فقد تحدث قديماً مع الآباء والأنبياء، وكان يكشف لهم الحق الإلهي وشخصية الله تدريجياً حتى جاء السيد المسيح الذي هو كمال الإعلان الإلهي للبشرية. وقد تدرج الوحي مع زيادة مفهوم البشرية واتساع

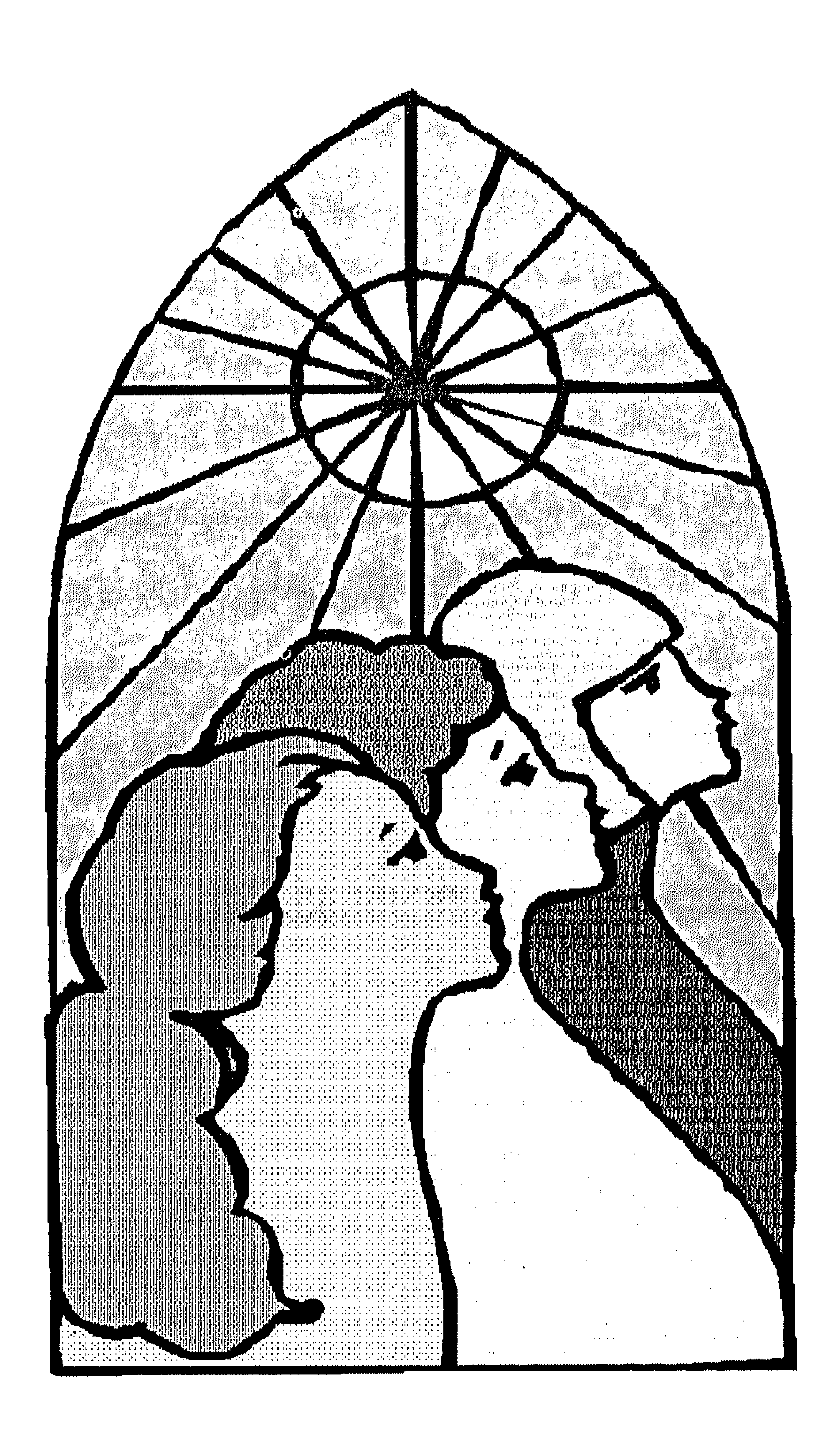
مداركها وتقدم العلم والمعرفة.

أما الثابت والمتغير فلهما أسس لاهوتية وكتابية، فهما ليسا عشوائيين ولذا فإن تقييمهما يحتاج لدراسة مدققة ليس مكانها هنا. ولكن لكي نكتشف هذا المعنى فإننا نحاول أن نرى بعض النماذج. في العهد القديم أعطى الله وصايا صحيحة كانت مهمة وأساسية للشعب في البرية، لدرجة أن واحدة من وصايا الله في سفر التثنية كانت خاصة بالمرحاض. لسنا نعتقد أن هذه الوصية لها مكانها اليوم. ولسنا نعتقد أن الله بحاجة أن يقدم هذه الوصية اليوم في مجتمعات متحضرة. كما أن هناك كثيراً من المشكلات التي تطرأ نظراً للتحولات التكنولوجية والاجتماعية وغيرها، فمثلاً قضية مثل زراعة الأعضاء أو الهندسة الوراثية (متغير) لم تكن موجودة في عصر الرسل، ولكن يمكن مناقشتها في ضوء المبادئ والقيم والأخلاق المسيحية الكتابية (ثابت).

وغطاء الرأس.. في مجتمعات معينة كانت المرأة العاهرة هي التي لا تغطى رأسها. ففي هذا المجتمع تحدث الرسول أن المرأة المؤمنة تحتاج لتغطية شعرها.

الفصل التاسع

المرأة شمّاسة في الكنيسة



عندما نتأمل في العهد الجديد بأسفاره المختلفة وكتاباته المتعددة نشعر فيه بالخدمة المسيحية الأمينة والعظيمة التي قدمتها المرأة في مواقف كثيرة وأماكن متعددة وفي ظروف متنوعة. وما يلفت نظرنا هو أن الذين كتبوا أسفار العهد الجديد كله كانوا من الرجال، وقد كتبوا في مجتمعات ساد فيها النظام الأبوي السلطوي إلا أنهم أظهروا خدمة المرأة ودورها في الكنيسة منذ بداية المسيحية بكل وضوح. فقد كانت المرأة ضمن من تبعوا يسوع، وكانت أول شهود القيامة، وأعلنت خبرها السار للرجال، واشتركت مع الرجال في خدمة الكرازة، والعمل المرسلي في أماكن عديدة. هذا بالإضافة لدورها العظيم في مجالات مختلفة أخرى، أوضحها العهد القديم أيضاً. ومن ضمن المسئوليات التي كلِّفت بها، تكليفها بخدمة الشموسية، التي تعتبر من أهم الوظائف الكنسية الرسمية في الكنيسة المسيحية، كما يوضح لنا العهد الجديد. ولكي نفهم بوضوح دورها كشماسة يلزمنا أولاً أن نلقي نظرة عامة على خدمة الشموسية ذاتها كما وردت في العهد الجديد لكي نفهم ولو ملامح بسيطة عنها، ثم نتأمل في المرأة وخدمتها كشماسة.

الكلمة الأصلية للشموسية

وردت الكلمة في اللغة اليونانية الأصلية وهي، (دياكونوس)، وفي الإنجليزية "Deacon" دياكون، وفي الأرامية وهي اللغة الأساسية التي أتت منها الكلمة (شماش)، وفي اللغة العربية (شماس أو خادم). ونلاحظ هنا أن النطق في اللغة العربية للكلمة قريبة جداً من نطقها في اللغة الأرامية.

الخلفية التاريخية لخدمة الشموسية

كانت هذه الخدمة موجودة عند اليهود قبل العهد الجديد. وترد كلمة (خادم) الخاصة بها في المشنا، وقد استخدمت لرئيس الكهنة وهو يخدم في الهيكل. وقد وردت الكلمة أيضاً في العهد القديم للتعبير عن خدمة العبادة في الهيكل. وقد استخدم اليونان أيضاً الكلمة للتعبير عن خدمة الجرسون أو الشخص الذي يقوم بخدمة المائدة. كما استخدموها أيضاً للتعبير عن الخدمة في المعابد والجمعيات الدينية وللشخص المرسل ليوصل رسالة لشخص آخر. وكانت عندهم تطلق على الإنسان غير الشريف لأنه يخدم الآخرين. وعبّر عنها بعض الفلاسفة اليونان على أنها تحمل سلطان ومسئولية ولا تحمل معها أي تضحية أو إنكار ذات[١].

أما استخدامها في العهد الجديد فقد وردت بمعانٍ كثيرة تختلف تماماً عن ذلك، وهي تطلق على من يخدمون المسيح من الرجال والنساء في مجالات خدمة الموائد، وخدمة السامري الصالح لليهودي الجريح، وخدمة غسل الأقدام، وخدمة الكلمة وغيرها. وقد أُطلقت على بعض النساء، وبعض الرسل، وعلى الرسول بولس، وعلى المسيح أيضاً. والمجال هنا لا يسمح لنا أن نتوسع ونسهب فيها. لكننا قصدنا أن نعطي مجرد لمحة أو إشارة بسيطة لإيضاح خلفيتها التاريخية ولإيضاح المعنى الرائع للكلمة.

نشأة خدمة الشموسية

هناك ثلاثة آراء لذلك هي:

الرأي الأول: إن بداية خدمة الشموسية قد بدأت منذ اختيار السبعة للخدمة

عندما واجهت الكنيسة مشكلة الأرامل اللاتي كن لا ينلنا نصيبهن المناسب من المساعدات (أع ٦). أي أن هذه الوظيفة جاءت نتيجة الحاجة في الكنيسة.

الرأي الثاني: يرى البعض أن هذه الوظيفة كانت من قبل لدى العالم اليوناني، وذلك واضح كما رأينا في الخلفية التاريخية للكلمة. وهنا نستطيع أن نجمع بين الرأيين بأن سفر أعمال الرسل قدم لنا بذرة فكرة الشموسية لسد الاحتياج الموجود، فهذا يعتبر بداية الوظيفة داخل الكنيسة المسيحية، لكن هذا لا يمنع بأن الوظيفة كانت موجودة لدى العالم اليوناني من قبل. نعم إن الكنيسة قد غيرت من معنى الكلمة وطريقة استخدامها، لكن هذا لا يمنع أن الكنيسة قد أخذتها من العالم اليوناني.

الرأي الثالث: إن الكنيسة الأولى قد تأثرت بما وجدته في المجامع اليهودية من وظائف وهي تواجه مشكلات توزيع الخدمات وتنسيقها في الكنيسة. ومن الطريف أن نلاحظ أن كاتب العظة المسماة برسالة كليمنت الأولى، والتي تعود بنا إلى عصر ما بعد الرسل مباشرة. يشير إلى الكهنة واللاويين في العهد القديم ويقول عنهم إنهم كانوا يقومون بخدمة "دياكونيا" مذبح الله (٣٢: ٢، ٤٠: ٥) ويُتابع حديثه قائلاً إنه على هذا النمط أقام رسل المسيح حيثما خدموا أساقفة وشمامسة الكنيسة (٤٢: ٢) قارن (في ١: ١).

ومما يسترعى الالتفات أيضاً أن المجمع اليهودي كان فيه وظيفتان تعليميتان بخلاف وظيفة الشيوخ (برزيوتيري) التي كانت وظيفة إدارية إلى حد كبير، وكان اسم إحدى الوظيفتين "خادم المجمع" (لو ٤: ٢٠) وباليونانية (هوباريتيس)، وهذه

الكلمة، برغم كونها تعني حرفياً "خادم"، إلا أنها كانت في المجمع اليهودي وظيفة تعليمية، بينما كانت الكنيسة تفكر في وظيفة تدبيرية، ولذلك تجنَّبت المسيحية هذه الكلمة المألوفة فاستخدمت بدلاً منها الكلمة اليونانية (دياكونوس) التي لها المعنى العام التي كان استخدامها الديني محدوداً جداً، ثم دخلت الكنيسة. بمعنى جديد ومفهوم جديد، وهذا الرأي الثالث يؤيد تقريباً أن الوظيفة كانت موجودة من قبل نشأة الكنيسة المسيحية، لكن عندما استُخدمت في الكنيسة المسيحية غيَّرت الاسم الأول لها وهو (هوباريتيس) إلى (دياكونوس)[٢].

المرأة وخدمة الشموسية في الكنيسة

تحدث الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية بكل وضوح عن سيدة كانت تقوم بهذه الوظيفة الكنسية العظيمة قائلاً: "أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضاً (رو ١٦: ١-٢). والرسول في كلامه عنها يستخدم مصطلحين مهمين: المصطلح الأول هو (خادمة) التي هي في الأصل اليوناني (دياكونوس)، وهي تعني هنا الخدمة الروحية الخالصة، وكذلك المصطلح (مساعدة) التي هي في الأصل اليوناني (بروستاتيس)، وهي تعني الشخص المتقدم في المساعدة. وعلينا أن نلاحظ هنا أن الرسول بولس يكتب هذه الكلمات التي تحمل بعض الوصايا والنصائح إلى أهل رومية وهو في مدينة كورنثوس، وأن فيبي هي خادمة كنيسة كنخريا رسمياً. وهو يطلب من أهل رومية رسمياً أن يسهِّلوا لها خدمتها الكرازية في البلاد الغربية،

فهي تقوم برحلة افتقاد لخدمة الكرازة بعيداً عن كنيستها لذلك لقبها أيضاً بلقب (بروستاتيس) أي رئيسة أعوان.

وما يشد انتباهنا هنا الانطباع الروحي الطاغي على مشاعر بولس الرسول نحو هذه المرأة الخادمة هو أنها بلغت مرحلة عظمى من القداسة، لذلك كان أول تأكيد في مديحه وتقديمه لها لكنيسة رومية أن تُقبل وتُعامل في الرب كقديسة حسب قوله: "كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين". كما نلاحظ أيضاً هنا أن الخدمة التي تُقلِّت بها (دياكونيا) هي موهبة من مواهب الروح القدس يضعها بولس الرسول بين موهبة النبوة وموهبة التعليم في قوله: ولكن لنا مواهب مختلفة حسب النعمة المعطاة لنا (أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان أم خدمة ففي الخدمة أم المعلم ففي التعليم (رو ١٢: ٧). وخدمة فيبي يتضح منها أن تعبر عن مفهوم الخادمة المخصصة لكنيسة معينة[٣].

ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن نوضح أنه ليس فقط هذا النص الوارد في (رو ١٦: ١) بخصوص فيبي الذي يشير إلى خدمة المرأة كشماسة، لكن هناك إشارة أخرى إلى أن النساء المذكورات في (١تي ٣: ٣-١٨) كنّ شماسات. رغم أنه هناك رأي آخر يقول إنهن من عامة الشعب ولسن شماسات. ورأي ثالث يقول إنهن زوجات خدام لذلك يلقبن بخادمات أو شماسات لعدة أسباب هي:

(١) في هذا النص يعطي الرسول تعريفاً لكلمة شماس ثم بعد ذلك يتحدث عن النساء، فهذا يُعطي انطباعاً بأن الحديث هنا عن النساء أنهن شماسات.

(٢) يوحنا فم الذهب في عظته الحادية عشرة عن رسالة بولس الرسول الأولى

إلى تميوثاوس يقول: "ظن البعض أن الحديث هنا يشير إلى النساء بوجه عام، ولكن هذا ليس صحيحاً لأن بولس لا يتعرض هنا لموضوع النساء بل يتحدث عن وظيفة ومرتبة الشماسات".

(٣) في مخطوطة رقم ١٥١ الموجودة الآن في جبل سيناء والتي يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن التاسع، وصاحب كتابتها المفسر السرياني بشير بن سري يشرح فيها هذا النص بالقول: "كذلك اللاتي يجعلن خادمات أو شماسات"[٤].

فيبي تملك وظيفة رسمية وليست مهمة وقتية

إن النصوص الكتابية الخاصة بفيبي توضح لنا أنها في الحقيقة لم تكن مجرد شماسة تقوم بدور هامشي أو تقليدي أو وقتي. وليست مجرد قائدة لمجموعة من السيدات كما يرى البعض، لأنه لا يوجد ما يؤيد ذلك. وليست مجرد سيدة مكلفة بجمع الأموال للكنيسة. لكنها كانت تحمل وظيفة كنسية رسمية. وقد اختلف دارسو الكلمة المقدسة حول وظيفتها هل كانت مجرد شماسة أم كانت راعي الكنيسة. لكن المهم أن الكل يتفق على أنها كانت تحمل وظيفة رسمية دائمة، وما يدل على ذلك نراه في النقاط التالية:

(١) من له معرفة ولو بسيطة باللغة الأصلية اليونانية للعهد الجديد، يرى أن الرسول بولس في تقديمه لفيبي إلى كنيسة رومية، قد تكلم عنها بصيغة المذكر وليس المؤنث، رغم أنها امرأة. وذلك لأن الكلمة الواردة عنها كانت تستعمل لرتبة كنسية رسمية دائمة وليست لمهمة وقتية عابرة. فكانت تستخدم للرئيس المسئول عن المعبد، أو لرئيس الكهنة، وكانت النساء لا تكلف في ذلك الوقت بمهمة دائمة

لكن وقتية. وكأن الرسول بولس يقصد أن يتغير الوضع حيث أن المبدأ الذي أوضحه في (غل ٣: ٢٨) "لا فرق بين ذكر وأنثى في المسيح يسوع"، يؤكد على أن فيبي تعتبر القائدة الأولى في الكنيسة وتقوم بمسئولية الخدمة كراعٍ.

والعجيب أنه عندما ترد أمامنا كلمة خادم الكنيسة فيتبادر إلي أذهاننا أن الخادم هو الراعي أو القسيس، لكن عندما يرد الحديث عن فيبي لأنها امرأة فنصرّ على أنها مجرد شماسة. في الحقيقة إن الأمر هنا يحتاج منا إلى وقفة ضميرية وتفكير بموضوعية وتجرد من التحيز والذاتية التي تملأنا بالتعصب ضد المرأة.

(٢) بالكشف في الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية للقس غسان خلف نجد الكلمة التي لقِّبت بها فيبي هي نفس الكلمة التي لقَّب بها المسيح ذاته (رو ١٥: ٨) ولقُّب بها بولس وأبلوس (١كو ٣: ٥) ولقُّب بها تيخكيس الخادم الأمين في الرب (أف ٦: ٢١) وتيموثاوس (١تس ٣: ٢) وأبفراس (كو ١: ٧) وقد كانوا قادة كنائس[٥].

(٣) نجد بولس عندما يستخدم لقب دياكونوس على نفسه أو على أي قائد آخر فإن اللقب يترجم راع كما أن بولس يستخدم نفس اللقب بمعنى شريك في الخدمة والإرسالية، وهذا يوضح أن الاحتمال الأكبر أن فيبي كانت راعٍ للكنيسة. أما اللقب الثاني فيعني مساعد أو معاون أو ضابط أو رئيس أو حاكم. والفعل منه مستخدم للتعبير عن احترام أولئك الأشخاص كما في (١تس ٥: ١٢). وللتعبير عن الأسقف أو الشماس أو الشيخ كما في (١تي ٣: ٤ و٥، ٥: ٧)، وهكذا كان

لفيبي دور قيادي بارز في مجتمع كنيسة كنخريا[٦]. "أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا، كي تقبلوها في الرب. كما يحق للقديسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضاً" (رو ١٦:١و٢).

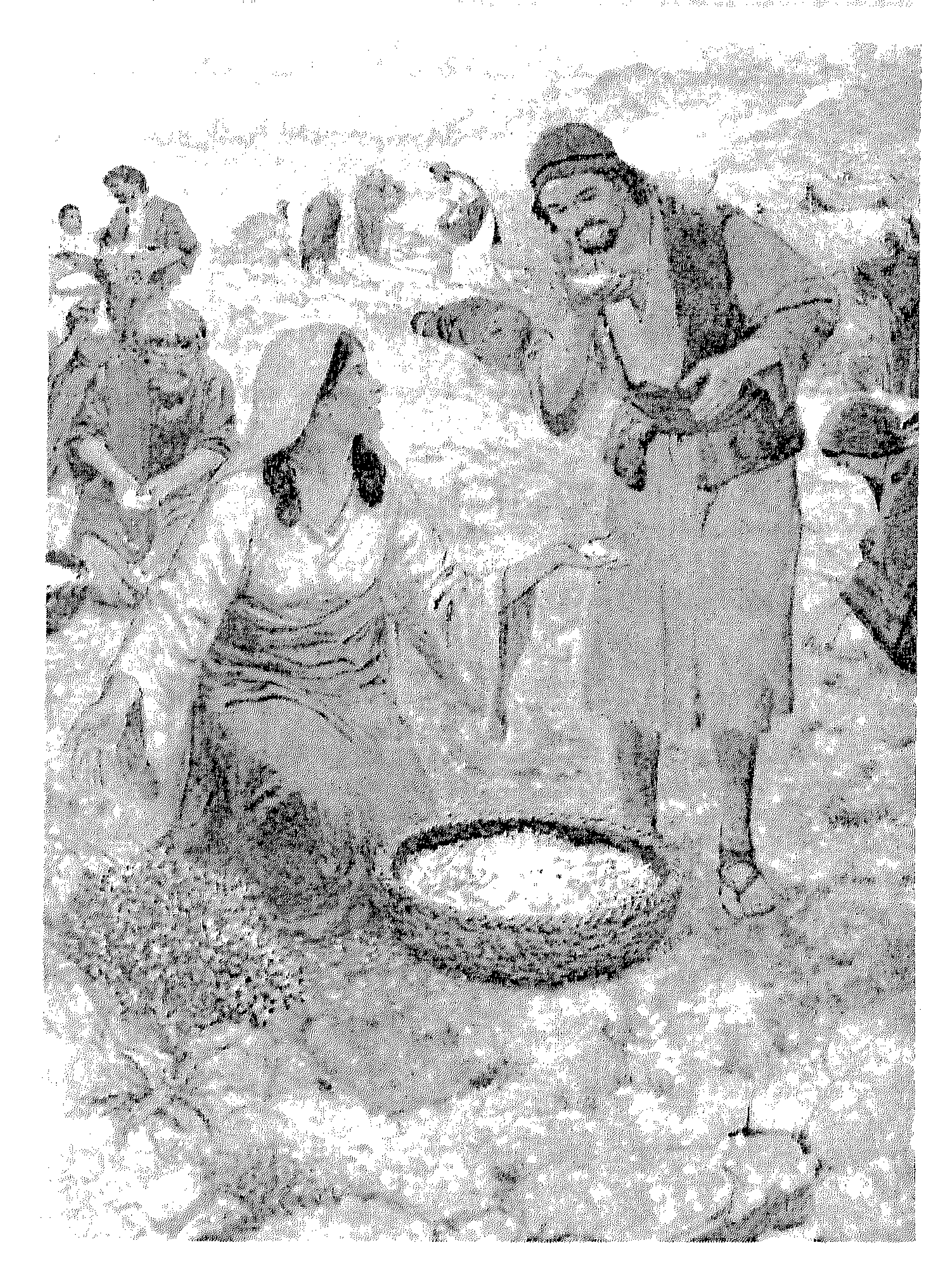
(٤) يقول الدكتور كينيث بيلي أن قرب ترجمة عربية للكلمة تعني (الرئيس)، وفي ترجمة (New English Bible) جاءت الترجمة للحديث عن فيبي "التي تحمل وظيفة رسمية في كنخريا[٧].

المسيح شرَّف خدمة المرأة

شرَّف السيد المسيح هذه الخدمة وأطلق على نفسه هذا اللقب (دياكونوس)، وقال عن نفسه إنه جاء ليخدُم، لا ليُخدَم، ويريد أن كل المؤمنين يكون لديهم روح التفاني في الخدمة في مجالاتها المختلفة كسيدهم الذي كان يجول يصنعُ خيراً يشفي جميع المتسلط عليهم إبليس. والمسيح جعل نفسه خادماً وعبداً (رو ١٥: ٨) عن طريق تجسده كالخادم المسوح للآب وأيضاً عن طريق آلامه. كما أن البشير لوقا وهو يتحدث عن العشاء الأخير ينهي الحديث بالإعلان التالي عن المسيح "ولكني أنا بينكم كمن يخدُم" (لو ٢٢: ٢٧). والبشير يوحنا يوضح لنا طبيعة الخادم من خلال موقف غسل المسيح لأقدام التلاميذ قبل العشاء (يو ١٣: ١-١١)[٨].

الفصل العاشر

المرأة أم وزوجة وعاملة



سيطر الفكر القديم على كل من الرجال والنساء، بأن المرأة أضعف وأقل قيمة من الرجل على مدى قرون طويلة. مما جعل المرأة تخضع لسيطرة الرجل خضوعاً تاماً. فقد نشأت المجتمعات القديمة تحت تأثير النظرية القائلة بأن المرأة مخلوقة لأجل الرجل، وموقعها خلف الرجل. حتى بين دارسي الكلمة المقدسة، ومن قد استناروا بها. ورغم اعترافهم بالدور العظيم الذي قامت به المرأة في الكتاب المقدس بعهديه في مجالات كثيرة، إلا أنهم يضعونها في مرتبة ثانوية نظراً للتفكير المسيطر عليهم بأنها السبب في إخراج الرجل من الجنة. فهي إذن التي أتت بالخطية إلى العالم، وبالتالي يجب أن تكفر عن هذه الخطية جيلاً بعد جيل. ونسى هؤلاء أنه ما من إنسان يستطيع أن يكفر عن خطيته بقدرته الشخصية، وإلا لما كان هناك فائدة لعمل المسيح الكفاري. وليس ذلك في القديم فقط بل في أيامنا المعاصرة نجد البعض من الرجال والسيدات يعيشون بنفس هذا الفكر رغم الاستنارة والتغيير الهائلين في المجتمعات المختلفة من حولهم.

دور المرأة الخطير في حياة الأسرة:

يقول الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافية والقبطية والبحث العلمي بالقاهرة في كتابه "الدرس الأول للمرأة" (الطبعة الثانية): يجب أن يزيد اهتمامنا بالمرأة على اهتمامنا بالرجل ذلك لأن الدور الذي تقوم به المرأة في حياة الأسرة، وفي خدمة المجتمع الكنسي الخاص، والمجتمع البشري العام دور أهم وأخطر وأكبر من الدور الذي يقوم به الرجل.. ويواصل كلامه عن أهمية المرأة وقيمة وخطر دورها فيقول: "إذا فكرنا في دور المرأة بالنسبة للطفل،

ودورها بالنسبة لرجلها الذي تقف إلى جواره ومن ورائه تنفحه من روحها وعواطفها وتشجيعاتها.. نقرّ جميعاً بدين كبير نحو المرأة.. ونعترف بأن دور الرجل في الأسرة ضئيل جداً بالنسبة إلى دور المرأة... فدورها دائماً هو الأكبر... ونحن لا ننكر دور الرجل ونحن نتكلم عن المرأة، ولكننا نريد أن نؤكد أن للمرأة في حياة الأسرة دوراً لا يمكن للرجل أن يقوم به ولا يمكن لأسرة سليمة أن تتكون ويستمر وجودها سليماً بغير المرأة. فالمرأة مخلوق زوَّدها الله بصفات الرقة والحنان والجَلَد والصبر والاحتمال، كما زوّدها الله بحاسة الجمال وبعاطفة الحب العنيف المخلص... وغيرها من الصفات اللازمة لكيان الأسرة وصيانتها، مما يوجب علينا من أجل خير الأسرة وخير المجتمع البشري عموماً أن نعطي المرأة اهتماماً جديراً بالدور الأعظم والأكبر الذي تقوم به في تكوين الأسرة، وهي خلية المجتمع الأولى(١).

المرأة مخلوق بطبيعة ذات إمكانيات عجيبة

ونحن نعيش اليوم في حياتنا المعاصرة نشعر أنه قد حدث تغيّر للفكر وتغيّر للأوضاع والظروف المحيطة بنا من كل الجوانب. بل إن العصر ذاته سريع التغيّر بطريقة مذهلة وغير عادية، وأصبحت المسئولية اليوم التي تقع على كاهل المرأة ثقيلة ومتعددة الجوانب فهي أم وزوجة وامرأة عاملة في الحياة العامة في آن واحد. ونظراً للقدرة العجيبة التي أوجدها الله فيها فهي تقوم بدورها في تأدية هذه الأعمال كلها، وهنا يتطلب منها تقسيم وقتها وتنظيم برنامج حياتها. أي يجب أن تؤدي كل واجب من هذه الواجبات الثلاثة كأنه الواجب الوحيد الذي عليها.

وليس من شك في أن هذا عمل شاق جداً.

المرأة صانعة الأجيال

تقول إيريس حبيب المصري في كتابها المرأة العصرية في مواجهة المسيح:
"لقد خلق الله المرأة بنتاً صغيرة تلهو وتلعب وتنمو، وفي هذه البداية من حياتها تجد نفسها محاطة بالعطف والتدليل. كما تكون في أغلب الأحيان خالية من المسئوليات الجسام التي تنتظرها خلف الأيام. فتسعد برعاية والديها وتسعد بصحبة مثيلاتها وتطرب حين تجد عودها قد نما وأنها أصبحت "شابة" وتقول في زهو وخيلاء: أنا عمري خمسة عشر عاماً.. (مثلاً). ولكنها لا تكاد تأنس إلى هذه الحالة التي ملأتها زهواً حتى تجد نفسها وهي تستعد لأن تكون عروساً. والفترة ما بين الخطبة والزواج كلها خيالات واندفاعات تملأ نفس الشابة نشوة و تصورٌ لها الحياة في صورة زاهية. فإذا ما أنست إلى هذه الخيالات السعيدة إذا بها قد أصبحت على أعتاب الأمومة. وهذه الحالة أيضاً تستتبعها انفعالات خاصة إذ تمتلىء العروس المتوقعة أن تكون أمًّا بالنشوة وبالرهبة معاً. النشوة لأنها ستلد إنساناً إلى العالم. إنساناً يكون قطعة منها وجزءاً من شغاف قلبها، والرهبة فيما قد يكون هذا الطفل، ومرة أخرى تتدافع الخيالات المرتقبة داخل نفسها. وتمر الأيام فإذا بها أم بالفعل. وفي السنوات الأولى للأمومة، كثيراً ما تحس بالضجر لما تفرض عليها العناية بالطفل من مشاق وسهر. ويتخلل هذا الضجر ساعات من الفرح. ساعات تناغي فيها طفلها وتبتسم له وتلتقي ابتسامتها بابتسامته. فلا تلبث أن تجد نفسها سعيدة وهي ترقب طفلها ينمو ويخطو خطواته الأولى. ويبدأ

أن يتلفظ بكلمات ناقصة غير مفهومة للآخرين، ولكنها كاملة واضحة في أذنيها. فتكرر ما يقول وتسرد ما يفعل في زهو وفرح. على أن السنين التي تمر سراعاً فإذا بهذا الطفل الذي كان في حجم الدمية قد أصبح شخصاً ناضجاً له اتجاهاته الخاصة ورغباته الفردية، وله أيضاً مقدرته. فهو لم يعد في حاجة إلى ما كانت تبذله من جهد وعناية ولم يعد مرتكناً عليها لقضاء احتياجاته. وعند ذاك تجد لديها الوقت الذي يثقل كاهلها.. وهنا أيضاً تدفعها عاطفتها إلى الزعم بأنها أصبحت مُستغنى عنها. وهذا هو السبب الأساسي في أن بعض الأمهات حين يشب أولادهن تنتابهن الأمراض لأنه لم يعد لديهن هدف يشغلن أنفسهن للوصول إليه[٢].

أولاً: المرأة في دور الأم

لا يوجد إنسان في الوجود وُلد شاباً فتياً أو رجلاً كبيراً، فكل منا قد وُلد طفلاً رضيعاً ثم بدأ يكبر في مراحل حياته العمرية بالتدرج. ولأننا كلنا قد مررنا بمرحلة الطفولة نعرف جيداً دور الأم العظيم في حياتنا. فمنذ اللحظة الأولى لتكوين الجنين في أحشائها والأم تغذيه بدمها ومنها يمتص قوته ويتغذى من لحمها ودمها وأعصابها، تعاني بسببه الكثير من التعب والإرهاق والإعياء وهو جنين في بطنها ثم ينمو قليلاً قليلاً على حساب صحتها وأعصابها وراحتها إلى أن تلده بالأوجاع وآلام المخاض، وبعد أن تلده ترضعها وتحمله وتربيه بكل الحنان والرقة والجلد والصبر الطويل، ويكبر بين يديها وتحت رعايتها ورقابتها جسدياً ونفسياً وعقلياً وعاطفياً، دقيقة في إثر دقيقة، وساعة بعد ساعة، ويوماً في أعقاب

يوم، إلى أن يبلغ سن الصبوة، فالبلوغ، فالرشد، فالرجولة أو الأنوثة الكاملة. ولن تنقطع عن الاهتمام به وموالاة رعايته بكل الاهتمام وبعواطف الحب طالما هي أم.. من يستطيع أن ينكر أثر الأم في حياة الطفل..؟ من يمكن أن يتنكر لهذه الأم وينكر عليها تعبها وجهادها ونضالها الذي لا يتوقف في سبيل طفلها؟[٣].

عاطفة الأمومة المملوءة بالحب

كلنا نعلم تماماً أن الشمس دعامة الحياة ولكننا لا نفكر فيما لها من أهمية حيوية لأنها تشرق علينا كل صباح، ولو وقفنا لحظات لنتخيل يوماً لا تشرُق فيه الشمس أو لنتخيل أن شروقها ليس له مواعيد محددة ثابتة لأصابنا الذعر. وعلى هذا المقياس يجدر بنا أن ننظر إلى الأمومة لأننا لو تصورنا جيلاً إنسانياً بأكمله ينمو من غير رعاية الأم لأصابنا الذعر. ولولا هذه الحقيقة لما سعت الجماعات والأفراد إلى إيجاد من تحلّ محل الأم للطفل اليتيم أو الشريد.

والحقيقة أن الأمومة وما بها من جوانب عظيمة بيولوجية وطبيعية ونفسية واجتماعية، أرى أنه من الصعب التعبير عن عاطفة الحب التي بها بعبارات مناسبة لها، على الورق، مهما كانت العبارات عظيمة وبليغة وحلّق الكاتب بها في الأجواء العالية.

لا أمومة... لا حياة

تذكر إيريس حبيب المصري في كتابها الذي أشرنا إليه سابقاً شيئاً مهماً عن عاطفة الأمومة التي لا بديل آخر عنها في الحياة إذ تقول: "قرأت مقالاً ذات يوم بعنوان" القوة الرهيبة التي للمحبة" فتمعنت في العنوان مدى لحظات مندهشة من

ربط المحبة بالرهبة. وكان المقال لطبيب أطفال قضى السنين الطويلة في مهنته. ومن بين أبحاثه دراسة وافية لما جرى في مؤسستين: إحداهما حضانة لأطفال لهم والدون يحبونهم ويحوطونهم بعطفهم ورعايتهم. والأخرى مركز للقطاء. وقد بيَّن أن العناية بالمؤسسة الثانية لم تقلّ عنها بالأولى، فأوضح بالتفصيل أن كل الوسائل العلمية والخدمات الطبية والدقة في المواعيد كانت تراعى في كلتيهما. ثم انتهى إلى القول بأن كل المسئولين كانوا منذهلين، لأنه على الرغم من عنايتهم التامة بالمؤسسة الثانية فالأطفال كانوا يموتون قبل السنة الثانية من عمرهم في حين أن الأطفال الذين في الحضانة يستمرون في الحياة. فأخذ هذا الطبيب يسأل نفسه عن السبب في هذه النتيجة المتضاربة بين المؤسستين من غير أن يجد لها جواباً. ثم حدث أن قام برحلة إلى المنطقة الواقعة ما بين ألمانيا والنمسا ليزور مستشفيات الأطفال استزادة للمعلومات. وفي إحداها وجد سيدة متقدمة في السن تمر في العنابر. ومن حين إلى حين تحمل طفلاً مريضاً على صدرها أو تجلسه على حجرها وتربت عليه أو تنشد له في صوت خافت هادئ. فسأل عن السبب فيما تعمله، أجابه رئيس القسم: "إنها تتدخل حين يفشل الدواء ويعجز الطب، فالطفل حين يحس بحرارة الحنان والمحبة تستجيب قواه أسرع وأقوى مما تستجيب لأية عناية طبية أو علمية". وكأنما كانت هذه الكلمة ومضة أضاءت له سر المؤسسة التي لم يجد فيها اللقطاء المحبة الدافئة والحنان العطوف. ومن هنا أعلن بأن المحبة قوة رهيبة، هي القوة التي تهيئ للطفل أسباب الحياة أو أسباب الموت... وليس من شكل فإن محبة الأم هي أقوى نوع من المحبة الإنسانية... ألم يقل رب المجد: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت

جناحيها؟"، فقدم لنا بذلك صورة للأم الحانية التي تستهدف حماية أولادها بوضعهم تحت سترها[٤].

الكتاب المقدس والأمومة

الكتاب المقدس زاخر بالحديث عن الأمومة والأمهات في العهدين القديم والجديد، فمثلاً يختم سليمان الملك سفر الأمثال بالحديث عن المرأة الفاضلة، فالصورة التي يرسمها الوحي الإلهي لها أنها فاضلة وثمنها يفوق اللآلىء نظراً لصفات كثيرة يصفها بها في الأصحاح الأخير من سفر الأمثال. وتحتاج لمجال واسع لشرحها. وقد قدمت أم الملك سليمان كاتب هذا السفر له النصائح الكثيرة المهمة لحياته والتي أشرنا إليها في فصل "المرأة ملكة"، وفيها تنصحه بالاهتمام بدعوى كل يتيم وأن يقضي بالعدل ويحامي عن الفقير والمسكين. ومقابل هذه الأم الحكيمة نقرأ عن الأم عثليا التي قيل عنها إن ابنها سلك في طريق بيت آخاب لأن أمه تشير عليه بفعل الشر (٢أخ ٢٢: ٣٠)، وعلى سبيل المثال لا الحصر رسالة أم موسى ورسالة أم صموئيل في تربية ابنيهما، والأمثلة كثيرة جداً التي تشبه النوعين من الأمهات. وفي العهد الجديد نجد مثال ما قاله بولس لتلميذه تيموثاوس "إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً" (٢تي ١: ٥).

كما يوجه يوحنا الحبيب رسالته الثانية إلى: "كيرية المختارة وإلى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق ولست أنا فقط بل أيضاً جميع الذين قد عرفوا بالحق" (٢يو ١)، لذلك يوصي الوحي الإلهي بالطاعة والإكرام للوالدين الأب والأم كما جاء

في الوصايا العشر في (خر ٢٠)، وأيضاً قول بولس لأهل أفسس: "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق أكرم أباك وأمك التي هي أول وصية بوعد.." (أف ٦: ١). ويقول أيضاً في رسالته إلى كولوسي: "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مرضي في الرب" (كو ٣: ٢). ويقول الحكيم سليمان موصياً الأبناء "اسمع يا ابني تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك" (أم ١: ٨). "يا ابني احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك" (٦: ٢٠).

أقوال العظماء والمفكرين عن الأمومة:

كل ما هو طيب في حياتي جاءني من أمي "دويت. لي. مودي"

لا يوجد شيء في العالم أحلى من قلب الأم التقية "مارتن لوثر"

كان لي صديق واحد في العالم وقد انطلق "لورد بايرون"

كانت أمي النبع الذي كنت أستمد منه مباديء حياتي "چون ويسلي"

كل ما وصلت إليه وما آمل أن أصل إليه أنا
مدين به لذلك الملاك الذي هو أمي.

أنا أذكر صلوات أمي التي سارت ورائي
وأمسكت بي كل أيام حياتي "إبراهام لنكولن"

قبلة من أمي صيرتني مصوراً "بنيامين وست"

كانت أمي أول مبشر وأول معلم لي "لايمان ابوت"

أنا مدين بكل شيء لأمي. إن كنت قد فضلت
الحق على كل شيء آخر فهو ما علمتني إياه.
وإن كنت لم أهلك في الخطية والتعاسة من
زمن طويل فسبب ذلك الدموع الكثيرة والأمينة
التي تضرعت بها لأجلي. "القديس أغسطينوس"

إن كان هناك عمل ذو قيمة أتيته في حياتي
فن السبب فيه أني عندما كنت طفلاً كانت
أمي تقرأ لي فصلاً من الكتاب المقدس وتطلب
مني أن أستظهره "وندل فيلبس"

دين الأمومة من يستطيع أن يوفيه

الأم أعظم مداين في العالم ودينها على جميع الناس، فمثلاً يمكن أن إنساناً يقول أنا لست مديناً لسوبر ماركت أو للجزار أو لمحل الأجهزة الكهربائية أو لغيره، لكن لا يستطيع أن يقول أنا لست مديناً لأمي. حتى الإنسان الذي ماتت أمه ساعة ولادته فهو مديون لها. فهو دين على الجميع لا استثناء لأحد منه. وهو أيضاً دين غير ملحوظ لأنه لا يمكن أن يحسب بأرقام. من يستطيع أن يحسب دين الحمل في بطنها، والرضاعة من لبنها، بل من حنانها؟ ومن يستطيع أن يحسب دين النظافة في مرحلة الطفولة، وغسل الثياب، وتجهيز الطعام والعناية

بالدراسة، وغير ذلك؟

وحتى لو كان الابن رديئاً ويستحق السخط عليه لكنها تبغض كل من يذمه. وقد يفشل الابن في حياته والمجتمع ينظر له بنظرة ازدراء لكنها هي لا تفشل أبداً في إصلاحه وعلاجه. نعم إنها كتلة من المحبة. قبلتها غير القبلات. قبلتها محبة. كلها محبة،. لمساتها محبة.

الأمومة وتربية الأبناء

الأولاد عطية من الله للوالدين وهم ودائع ثمينة بين أيدينا. ونحن نقتني الأولاد من عند الرب. هذه الودائع التي بين أيدينا، قد أعطاها الله لنا. ونحن مسئولون عنها قدام الله في تربيتهم. فالصغير مثل سفينة داخل بحر كبير والميناء الذي تقصده هذه السفينة يتوقف على الاتجاه الذي توجه السفينة إليه. إن دفة حياة الصغير في يد الأب والأم وهو في بداية الحياة.

إن أولادنا مثل التربة الخصبة التي تنتج محصولاً وفيراً إما جيداً أو غير جيد. وهذا يتوقف على ما نغرسه فيهم، فإن نوع الثمار في الصغار يتوقف على نوع البذار والاهتمام والمجهود لكي نمنع بقدر الإمكان الأعشاب الضارة والأشواك من حياة الطفل، فينشأ صحيحاً سليماً روحاً ونفساً وجسداً. إن رجل اليوم هو طفل الأمس، وطفل اليوم هو رجل المستقبل، وهذا يتوقف على تربية الصغير(٥).

الضرورة الملحة لتربية الأبناء

عندما نستمع إلي الصغار وهم يلعبون أو يتعاملون معاً في البيت أو في

الشارع، وعندما نراهم يلعبون في التراب والطين نلاحظ العادات الخاطئة الخاصة بالصحة والسلوك والمعاملة، ونسمع كلمات السباب والحلف والشتيمة، ونرى المعاملة بلا أخلاق ولا أدب. نحن نلاحظ الواحد يضرب ويشتم الآخر. أو من يريد أن يستولي على حاجة غيره ولا يهمه الآخر. ونرى من يمسك بالحجارة ويضرب السيارة أو القطار ولا يفكر في خسارة بلده أو غيره ولا يهمه ضياع حاجة الغير. نحن نرى الروح العدوانية، وعدم الأمانة وعدم التعاون، ومظاهر الكراهية والحقد وعدم المحبة. كل هذه وغيرها تكشف لنا عن الضرورة الملحة لتربية الأولاد، وبالطرق الصالحة والأساليب الصحيحة(٦). وذلك يكشف لنا عن أهمية دور الأم في التربية الذي لا بديل عنه في أي هيئة أو مؤسسة.

ثانياً: المرأة في دور الزوجة

يقول الأنبا غريغوريوس في كتابه الذي أشرنا إليه سابقاً عن المرأة في دورها كزوجة: "هي دائماً إلى جانبه تسانده وتشجعه برقتها وحنانها ورعايتها على احتمال أعباء الحياة ومسئولياتها المتزايدة. وهي التي تحوِّل بيته إلى جنة صغيرة، يسكن فيها الرجل، كما يسكن إليها وبها ناعم البال، قرير العين. ولا نبالغ إذا قلنا إن الرجل يحتاج إلى المرأة كما يحتاج إليها الطفل. وليس عبثاً ما يقوله بعض الناس من أن الرجل هو طفل المرأة الكبير(٧). وأشعر وأنا أقتبس هذه الكلمات من الأنبا غريغوريوس بأنه لزاماً عليَّ أن أحييه تحية عظيمة لأجل هذا الفكر العظيم، وسألت نفسي وبحسب معلوماتي أن الأنبا غريغوريوس غير متزوج حسب عقيدته الأرثوذكسية، وهو يقول هذه الكلمات العظيمة عن المرأة كزوجة فكم وكم لو كان

هو متزوجاً ولمس دورها العظيم في الحياة الزوجية، لكتب لنا أعظم وأعظم.

الزوجة معين نظير زوجها

كلمة "معين" جاءت في الترجمة الإنجليزية بمعنى المساعد الذي يتناسب معه فيكمل احتياجاته Helper Suited to his needs. وهنا نرى الزوج هو الذي يحتاج للإعانة والزوجة هي المعين. والمعين لكي يعين لابد أن يكون قوياً قادراً على الإعانة وشخص يعتمد عليه ليقوم بدوره كقائد للأسرة على أكمل وجه، فالزوجة نراها المعين وليس المعيق. وكلمة "نظير" تعنى "من نفس النوع ومتساوية معه في القيمة" إذ أن الله خلق الإنسان على صورته ذكراً وأنثى خلقهم (تك ١: ٢٧). نعم فالذكر والأنثى هما عنصرا الإنسان المخلوق على صورة الله. كما أن الرسول بولس يؤكد على المساواة في القيمة رغم الاختلاف في الأدوار. (١كو ١١: ١١): "غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب". فالزوجة خلقت معيناً نظير زوجها.

الزوجة هدية وخير وتاج لزوجها

يقول الوحي الإلهي بلسان الحكيم سليمان عن الزوجة باعتبارها هدية سماوية لزوجها: "أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب" (أم ١٩: ١٤). وإنها الخير الذي يجده الرجل: "من يجد زوجة يجد خيراً وينال رضى من الرب" (أم ١٨: ٢٢). والمرأة باعتبارها تاج لزوجها "المرأة الفاضلة تاج لبعلها" (أم ١٢: ٤).

المرأة الفاضلة ثمنها يفوق اللآلىء

أروع صورة رسمها الوحي الإلهي للزوجة الفاضلة في سفر الأمثال (أم ٣١:

١٠-٣١) فيراها أنها موضع ثقة قلب زوجها وصانعة له خيراً. ودائماً تشتغل بيدين راضيتين، وتضيف ممتلكات لبيتها، وتغرس الكروم في حديقتها، تنطق نفسها بالقوة الروحية والعقلية والجسدية حتى تؤدي واجبها المنزلي على أكمل وجه. وتتصف بالإيمان والتقوى والقناعة، ومملوءة بالنعمة الإلهية، التي تضيء في حياتها في الظروف الصعبة. سراجها لا ينطفيء في الليل، تعرف كيف تصنع ملابسها، وملابس أهل بيتها في أوقاتها صيفاً وشتاءً. تهتم بخدمة الفقراء والمساكين، زوجها معروف في الأبواب. لها ثقة في الرب من جهة المستقبل، حكيمة في كلامها ولسانها. تمنع الأذى عن أهل بيتها ويمدحها زوجها وتأخذ من ثمر يديها وتمدحها أعمالها.

الزوجة وجمالها المتمثل في هدوئها وسلامها

ما أجمل الكلمات التي وصف بها القس إلياس مقار في كتابه "نساء الكتاب المقدس" في دراسة شخصية "أبيجايل"(٨). وحياتها كزوجة التي كانت أيضاً بهجة أبيها، فيقول إنها كانت أشبه بالقمر الجميل الذي رآه الأعرابي ذات ليلة وهو يسير في قلب الصحراء وقد استوى بدراً، وقد ألقى نوره الفضي في كل مكان، فأخذ الأعرابي بسحر جماله وهتف وهو يتطلع إليه قائلاً: ماذا أقول لك!! هل أقول لك رفّعك اللّه!! وها أنت مرتفع!! ... جمّلك الله، فها أنت جميل وما بعدك جمال!! إذاً فكل ما أقول أبقاك الله على ما أنت عليه من رفعة وجمال... إن جمال أبيجايل كان من ذلك النوع النادر الذي يقع في نفوس جميع الذين يرونها من أول لحظة. لقد كان هذا الجمال النسمة النقية الهادئة التي هبّت على وجه داود وهو بركان

ثائر وهو في طريقه للانتقام المروع من زوجها الأحمق نابال. هذه النسمة الندية التي أوقفته بغتة ليعود إلى وعيه ويستيقظ ويستمع إلى صوتها الساحر وندائها الرقيق ليفيق ويتراجع عما هو مقدم عليه، مما كان من المتوقع أن يندم عليه طوال عمره لو أنه لم يتوقف عنه في اللحظة الأخيرة.

حكمة الزوجة وإنقاذ الزوج الأحمق

ما أروع موقف أبيجايل مع داود الثائر في إنقاذ زوجها. ما أعظم حكمتها، وما ألمع ذكائها، وذهنها المتوقد. إن الكتاب المقدس وهو يعرض شخصيتها وضع فهمها قبل جمالها أمام الأنظار، وذلك لأن هذا الفهم كان في الواقع بمثابة الهالة الرائعة العظيمة لجمالها النادر، فإذا كنا نأخذ بجمالها قبل أن نتكلم فإننا سنذهل بما تنطق من در الحديث وجوهر الكلام. ويكفي أن نرى نموذجاً لهذا في ذلك الحديث البليغ الساحر الذي تكلمت به إلى داود وضربت على أدق وأرق الأوتار في قلبه فلم تعترف بالذنب فحسب بل ذكرته برسالته العظيمة التي وضعها الله على كتفيه، وأنه مهما يصبه من نفي وتشريد وآلام فإنه عزيز على قلب الله وأنه محفوظ في حزمة الحياة مع الرب.. إنها رفعت من قلبه ونفسه عن طلب الانتقام وهي تؤكد له أن النصر قريب. إلى ذلك الحد الذي ترجو فيه معه ألا ينساها عندما يبلغ مجده وملكه حسب وعد الله الأكيد الصادق، وهل ينسى الله من يخدمه بالأمانة إطلاقاً.

لقد كانت المرأة بحديثها الجميل الشيق عبارة عن محام من أبرع وأقدر المحامين ممن يدركون نقط القوة والضعف في القضية التي يمسكون بها ويعلّمون كيف

يبدأون ويسيرون وينتهون في خط الدفاع الذي رسموه من أول الأمر. إن مثل هذه المرأة تصلح في أيامنا هذه أن تقف في أعظم المحافل الدولية وأعلى محاكم الدنيا ليجلجل صوتها بسحر وبلاغة. تذهب مذهب المثل والفصاحة والحجة في كل مكان.

الزوجة الفاضلة أعظم كنز لزوجها

كتب أحد رجال الله عن زوجته الفاضلة فقال:

هي المعينة لي التي تساعدني في قيادة دفة حياتنا.

هي صديقتي التي أشتاق إليها.

هي شريكتي في حلقة الصلاة.

هي أب اعترافي الذي لا أخجل منه.

هي ترموستات الأسرة القادرة على رفع وخفض المعنويات.

هي الناصح الهادي لي.

هي الحاسة السادسة في البيت.

هي المسئولة عن التغذية والصحة العامة في البيت.

هي الوكيل عني في أعمالي ومالي والوحيدة التي أئتمنها على دفتر شيكاتي (إن وجد).

هي مادة افتخاري في كل مجلس.

هي النور الذي يضيء حياتي عندما يكون هناك ظلام.

أي أنه لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال. وبدونها لا يعرف أن

يعيش الزوج بالمرة. فكل ما قيل هو حق وواقع ولا يمكن إنكاره.

ثالثاً: المرأة العاملة

إن العمل بصفة عامة يُشعِر الإنسان بقيمته سواء كان رجلاً أم امرأة، ويحقق متعته، ويجد فيه ذاته، ويدعِّم به علاقاته مع الآخرين. ولذلك قال أندريه موروا "البطالة والفراغ رأس مال الشيطان". وحتى مهما كان العمل مُتعباً ومرهِقاً فالإنسان خير له أن يُبلى بالعمل من أن يصدأ بالراحة. والعمل كما يقول عنه فولتير "يبعد الإنسان عن ثلاث آفات. الملل والرذيلة والحاجة".

وعن تأييد البعض لعمل المرأة أو لعدم تأييدها، فهناك البعض من الرجال والبعض من النساء أيضاً ينادون بعودة المرأة إلى البيت. وهناك البعض الآخر من الرجال والنساء أيضاً ينادون بضرورة العمل وذلك من خلال معايشتهم في عصر امتلأ بالتحديات وزادت فيه مطالب الحياة والتزاماتها.

والحقيقة أن الحديث في هذا الموضوع يعتبر من أهم الأمور التي تتطلب الموضوعية التامة حتى لا يكون هناك تحيز لجانب عمل المرأة خارج البيت أو للجانب الآخر وهو بقاؤها في البيت دون عمل، مكتفية بخدمة زوجها وتربية أولادها والقيام بمتطلبات البيت، لذا يلزم إيضاح الموضوع من كل جوانبه. وخاصة لأن هذا الأمر لن يكون مجرد نص تفسيري يجتهد فيه بآراء متعددة لتفسيره، أو لن يكون هو قضية فكرية حول موضوع لاهوتي أو فلسفي أو ثقافي تتعدد فيه الآراء كلٌ بفتواه. لكنه موضوع عملي مُعاش يلمس الحياة اليومية

والرأي غير المقنع يشعر به الناس بوضوح أنه غير مقنع، ولا تعطيه أي اعتبار. لذلك أرى أنه يلزمنا دراسة الموضوع من الجوانب التالية:

هل من ضرورة لعمل المرأة؟

نعم هناك ضرورة مُلحة لعمل المرأة حيث إن العمل يعطي المرأة قدرة أكبر وأفقاً أوسع من جليسة البيت، ويجعلها أكثر تفهماً لتقلبات الزمن وقدرة على تجاوزها. كما أن الخروج إلى ميدان العمل هو مدرسة لاستكمال شخصيتها وتحسين لمظهرها. كما أنه يجعلها تعطي تقديراً أكبر لقيمة الوقت. ولتحديد كلامنا هنا نحاول أن نضع أهمية عمل المرأة في النقاط التالية:

١- تدعيم الجانب الاقتصادي للأسرة

فأمام غلاء المعيشة الفاحش، وأمام الالتزامات والأعباء الأسرية الكثيرة أصبح عمل المرأة ضرورياً. ولو عادت المرأة العاملة إلى البيت لتزلزل الاقتصاد الأسري والقومي.

٢- إحساس المرأة بكيانها

فقد أدى اشتغال المرأة إلى ارتفاع مستوى العلاقات الإنسانية في محيط العمل، وأدى إلى حماس الرجل في عمله، مما أدى إلى التنافس بينهما. كما أن استقلال المرأة الذاتي من الناحية المالية، وعدم اعتمادها كلية على الرجل أدى إلى وقوفها على قدميها وحدها بمفردها. وهذا الإحساس دفع بعض الأمهات على تشجيع بناتهن على الدخول إلى ميدان العمل، وقد اقترن هذا الإحساس بالكرامة وعزة النفس وتنمية الشخصية بتزايد تقدير الرجل للمرأة العاملة، بل إن هناك

تغييراً نفسياً قد حدث في شخصية المرأة نتيجة العمل وقد امتد إلى شخصية الرجل أيضاً، وبالتالي وصل هذا التغيير للمجتمع كله بكل طبقاته.

٣- النضوج الفكري للمرأة

الحياة بما فيها من احتكاك بالآخرين هي أفضل مدرسة يتعلم فيها الإنسان. فهناك فرق كبير بالطبع بين إنسان يجلس حبيس البيت لا يحتك بالآخرين، وبين إنسان آخر يتعامل مع الآخرين معظم اليوم في مجال عمله. لذلك هناك قيمة ندركها إذا تحققنا بالدراسة أن المرأة العاملة أكثر نضجاً من جلسة البيت. وبالتالي فإنها تعكس ذلك الإحساس الناضج على أطفالها وتربطهم بالواقع، لأنها اختبرته، وتعطيهم دائماً الخبرة، وتشجعهم دائماً للوصول إلى النجاح، وذلك نتيجة مباشرة لاتصالهم بالعالم الخارجي. كما أنها تخلق في أطفالها الإحساس بالثقة في النفس، لأنها تثق بنفسها وبقدراتها، وبالتالي فإنها تغرس هذه الروح في أطفالها. فقد نلاحظ أن المرأة العاملة تُقبل على أطفالها بشوق ولهفة لتعوضهم عن الوقت الذي قضته بعيداً عنهم. كما أنها تمنح أطفالها الفرصة للتعبير عن أنفسهم وتشجعهم على الاستقلال التدريجي.

تأثير عمل المرأة السلبي على البيت

بالتأكيد خروج المرأة لميدان العمل لم يكن إيجابياً مائة في المائة من كل جوانبه، لكنه يعود بنتائج سلبية على الأسرة تتفاوت بين أسرة وأسرة بناءً على نوعية العمل وطبيعته وبناءً على فترة الوقت الذي تقضيه المرأة خارج بيتها. وتتوقف أيضاً على مدى التوافق بين عملها وعمل زوجها. ويتضح هذا التأثير في

الأمور التالية:

١- ضعف العناية بالأطفال

هناك لقب لصق بأطفال العصر الحاضر أنهم "أطفال المفاتيح" حيث يذهب الأب لعمله والأم لعملها، ويعود الطفل من مدرسته ولا يجد من يفتح له الباب ولا يسمع صوت أمه الحنون تنادي عليه وتستقبله في أحضانها، فالآباء والأمهات يضعون له المفتاح في رقبته يمكنه استخدامه بعد عودته من المدرسة ويبقى وحيداً. فمن المهم أن تُدرك المرأة أن مسئولية تربية الأبناء ورعايتهم هي مسئوليتها الأولى، بل هي معركتها الأولى. فإذا فشلت فيها، فقد فشلت في كل شيء. فيجب أن تغمرهم بالحب فبدون هذا الحب النابع من قلب الأم يعجز قلب الطفل الصغير عن معرفة طريق الأمل وهو كبير، وبدون الإحساس بالأمل تموت الحياة.

لذلك على المرأة أن تربي في أولادها الثقة بالنفس فهي أولى خطوات الثقة في الآخرين. فالمرأة وحدها هي القادرة على صنع رجال المستقبل بغرس روح البذل والعطاء والحب والانتماء والوفاء والإخلاص في نفوس الأبناء. وإذا وقف العمل عائقاً في طريقها لتحقيق ذلك، فالأفضل لها أن ترجع إلى بيتها.

لذلك على كل أم أن تدرك في خروجها لعملها حقيقة مهمة أن بناء الطفل هو بناء الإنسان ذاته. وبناء الإنسان أفضل من بناء المصالح والمصانع.

٢- صعوبة التوفيق بين التزامات البيت والعمل

بالطبع لا يوجد قانون أو نظام واضح ومحدد في العالم كله. أو في أي زمن

من الأزمان يقول بالتحديد ما هي واجبات المرأة المنزلية في حياتها كأم وحياتها كزوجة وواجباتها في عملها خارج البيت. فدور المرأة بصفة عامة غير متفق عليه، وهو يختلف من مجتمع لآخر. فما يقال الآن إن المرأة المتزوجة أكثر تغيباً وأكثر استعداداً للاستقالة وهي أقل اهتماماً بالعمل من غير المتزوجة، وهذا يوضح صراع المرأة بين التزاماتها الأسرية التي تؤثر على عملها أحياناً. كما أنها تواجه شكوى وتذمراً من أفراد أسرتها بأن أعمالها المنزلية مهملة. وتشعر أحياناً بصعوبة التوفيق بين كل أعبائها الملقاة على عاتقها. لذلك ما هو مطلوب من المرأة التي اختارت ذلك الدور الثلاثي وهو دور الأمومة ودور الحياة الزوجية وما يترتب عليهما من مسئوليات جسيمة وتبعات عظيمة، ودور العمل والحياة الحرة بما تقتضيه من واجبات واستعدادات في موقع العمل أن تعد نفسها وأن توازن وتوفِّق بين دورها كأم ودورها كزوجة ودورها كعاملة.

وهناك رأي يقول إن وُجد تعارض بين عمل المرأة خارج بيتها وبين دورها كزوجة وكأم داخل بيتها، فالأفضل لها البقاء في البيت لأن الأمومة هي أقدس وأسمى دور تقوم به راضية سعيدة بما منحها الله من نعمة العطاء. فعطية الأبناء هي أعظم عطايا الله للإنسان. لأن أولادنا هم فلذات أكبادنا وليس من السهل تركهم للضياع. ومن زاوية أخرى فإن دور البيت لم يكن قاصراً على دور الأمومة بل دور الزوجية وإعطاء الزوجة لبيتها جزءاً كافياً من الوقت، فذلك بالتأكيد ينعكس على حياة زوجها المتعب المرهق في عمله، وينعكس على الأسرة بقدر وافٍ من السعادة. هذا رأي.

والرأي الآخر عكس ذلك الذي يصرّ فيه البعض على مواصلة العمل رغم تعارض ظروفه مع ظروف الحياة الأسرية.

والحقيقة إني أشعر أنه من الصعب أن نعطي حكماً صائباً ونبدي برأي قاطع في هذا الأمر ونخرج بمبدأ محدد واضح ينطبق على كل الأسر، لأن كل أسرة لها ظروفها المختلفة التي تختلف عن غيرها في جوانبها المتعددة. بل أيضاً كل مجتمع له سماته وثقافته وقيمه من حيث نظرته للمرأة وعملها. بل أيضاً من زاوية ثالثة فإن طبيعة العمل تختلف من عمل لآخر.

٣- مشكلات في الحياة الزوجية

وكما أوضحنا سابقاً أن المرأة العاملة تعاني من صراع الأدوار في أدائها لدورها الثلاثي كزوجة وكأم وكعاملة، فأحياناً تكون الأدوار متباينة ومتعارضة في نفس الوقت ومن حيث التوقّعات المنتظرة لكل دور من الثلاثة. وهذا يتسبب في التوتر وبضغوط نفسية وإحداث صراعات كثيرة، حيث أن المرأة تخرج لوقت طويل خارج البيت ثم تعود مرهقة لا للراحة، ولكن لمواجهة التزامات أخرى في المنزل شاقة ومتعبة. فيحدث أحياناً كثيرة نوعاً من التوتر والشد والجذب بين الزوج والزوجة، لأن الرجل يتضجر من عملها ويحس بأنه انتقاص لدورها معه.

وتقول إيريس حبيب المصري: "ومن زاوية أخرى أن العلاقات الجنسية بين الرجل وزوجته لها أهمية كبرى في سعادتهما واستقرارهما واستمرار حياتهما العائلية". فإلى أي مدى يؤثر عمل الزوجة على هذه العلاقات؟ وهناك حالات فردية تبين أن المشاجرات تحدث لأن الزوجة متعبة أو منصرفة إلى أعمال أخرى، أو لأن الزوج

بداخله الحسد والتشكك في علاقاتها العملية مع الرجال الآخرين. ولكن من الصعب أن نحكم بعدم حدوث الشجار حتى لو كانت المرأة لا تعمل خارج البيت.

نحو حد أدنى من المشكلات

لا يمكن لأسرة تعيش حياتها الدائمة بلا مشكلات ولا خلافات نظراً لاختلاف شخصية كل من الزوج والزوجة في جوانب متعددة من حيث الطباع والأمزجة ونسبة الذكاء والميول والاتجاهات وغير ذلك. بل أيضاً يمكن أن تحدث الخلافات والمشكلات الأسرية نتيجة الضغوط الكثيرة على الأسرة ولا سيما في أيامنا المعاصرة. ويمكن أن تحدث نتيجة التربية.. خلال العلاقة القائمة بين الآباء والأبناء، ويمكن أن تحدث من جوانب أخرى لأسباب متعددة. أي أننا يمكننا أن نقول إنه لابد من وجود مشكلات. فالأسرة السعيدة ليست هي التي تخلو من وجود مشكلات في داخلها ولكن هي التي تعرف كيف تكيِّف نفسها بأسلوب علمي وحكيم. وتعرف كيف تتعامل معها بمرونة وصبر وهدوء. ولكي تصل الأسرة إلى حد أدنى من المتاعب فيما يتعلق بالمرأة، فالدور المطلوب يمكن أن نحدده في النقاط التالية:

١- الإقرار بحقيقة الاختلاف بين الرجل والمرأة

وكما أوضحنا سابقاً أننا نقر تماماً بمساواة كل من الرجل والمرأة، ولا يمكن لإنسان أن ينكر ذلك أو يختلف عليه، فكل منهما إنسان خلقه الله مساوٍ للآخر ومكمل له. فهناك مساواة إنسانية حيث إن كل منهما خُلق على صورة الله. وهناك مساواة في الإمكانات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية. ومساواة من جوانب أخرى كثيرة،

الكل يقر بها بل أحياناً كثيرة تتفوق المرأة على الرجل في بعض الجوانب.

فالإقرار بحقيقة الاختلاف يريح ويساعد على التخصص في العمل متى لزم الأمر.

٢- برمجة وقت المرأة واهتماماتها

يجب أن يكون هناك توازن وتوزيع للوقت في الاهتمامات والعواطف عند المرأة.

كما يجب أن يكون هناك مراعاة لتوزيع الوقت ما بين الاهتمامات الأسرية والعمل وفترات الترويح والترفيه بين حين وآخر. ففترات الترفيه إن كنا نستهين بها لكن لها مفعول قوي جداً في حياة الأسرة. فلا يمكن للسيارة أن تسير بصفة دائمة دون توقف، ولا يمكن لأي آلة حديدية أن تعمل بصفة دائمة أيضاً دون توقف، فلابد لها من الراحة لكي تستطيع مواصلة عملها. وإذا كانت الآلة الحديدية يلزم أن تستريح لكي تقدر أن تعطي، فكم وكم الإنسان الذي أوجد الله فيه مشاعر وأحاسيس وأعصاب تحتاج أن تسترخي وتهدأ وتستريح بين الحين والآخر.

الاقتباسات

اقتباسات الفصل الأول

١- القس صموئيل زكي سليمان، **المسيحية والوظائف الكنسية.**

٢- الدكتور القس فايز فارس، **هل تجوز رسامة المرأة.**

٣- الدكتور القس لبيب شوقي، **نساء ورجال.**

٤- إنصاف نعيم تايه، **رحلة في أعماق حواء.**

٥- إنصاف نعيم، **المرجع السابق.**

اقتباسات الفصل الثاني

١- الأب متى المسكين، **المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة.**

٢- **السنن القويم**، الجزء الأول، تفسير سفر التكوين.

٣- الأب متى المسكين، **المرجع السابق.**

٤- الدكتور القس أنور زكي، **المرأة في الكنيسة المصرية.**

اقتباسات الفصل الثالث

١- القس إلياس مقار. **نساء الكتاب المقدس**، صـ ٩١ .

٢- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة. الجزء الثالث حرف الحاء، صـ ١٨٥ .

٣- الدكتور القس لبيب شوقي، **نساء ورجال، دراسة المرأة التي عنيت بالأسرة الأكبر**، صـ ١٠٨، ١٠٩ .

٤- **السنن القويم**، الجزء الرابع، تفسير سفر صموئيل الأول، صـ ٨ .

٥- القس إلياس مقار، **نساء الكتاب المقدس**.

٦- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة. الجزء الثالث. حرف الخاء. صـ ٣١٦ .

اقتباسات الفصل الرابع

١- القس إلياس مقار، **نساء الكتاب المقدس**، صـ ٩٤، ٩٥ .

٢- **المرجع السابق**، صـ ٨٧، ٨٨ .

٣- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة. الجزء الثالث، صـ ٤١٧، ٤١٨ .

٤- إنصاف نعيم، **رحلة في أعماق حواء**، صـ ٣١، ٣٢ .

اقتباسات الفصل الخامس

١- معجم اللاهوت الكتابي، صـ ٣٤٤ .

٢- القس إلياس مقار، **نساء الكتاب المقدس، دراسة شخصية دبورة.**

اقتباسات الفصل السادس

١- د. زكريا إبراهيم، **سيكولوچية المرأة**، صـ ١٩٥ .

٢- **المرجع السابق**، صـ ١٩١ .

٣- د. ق. صموئيل حبيب، **المرأة في الكنيسة والمجتمع**، صـ ١٩-٢٠ .

٤- الأب متى المسكين، **المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى**، صـ ١٠ .

٥- قاموس الكتاب المقدس، صـ ١٠٢٨ .

٦- القس إلياس مقار، **رجال الكتاب المقدس** الجزء الثاني، صـ ١٠٨ .

٧- قاموس الكتاب المقدس، صـ ٦٣ .

٨- القس إلياس مقار، **نساء الكتاب المقدس**، صـ ١٧٩ .

٩- **المرجع السابق**، صـ ١٨١ .

١٠- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة - الجزء السابع، صـ ١٨٤ .

١١- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة - الجزء الثاني، صـ ٦٨ .

١٢- الدكتور القس لبيب مشرقي، **نساء ورجال**، صـ ١٤٢ .

١٣- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة - الجزء السابع، صـ ١٨٤ .

١٤- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة - الجزء الخامس، صـ ١٨٩ .

١٥- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة - الجزء الرابع، صـ ٣٢٨ .

١٦- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة - الجزء السادس، صـ ٣٨٦ .

اقتباسات الفصل السابع

١- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة - الجزء الثاني، صـ ٣٩٥ .

٢- **معجم اللاهوت الكتابي**، صـ ٢٠٨ .

٣- **تفسير الكنز الجليل**، الجزء الثاني، تفسير إنجيل لوقا.

اقتباسات الفصل الثامن

١- الدكتور القس فايز فارس، **هل تجوز رسامة المرأة.**

٢- **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة -الجزء الخامس، صـ ٣٠٢ .

٣- **المرجع السابق**، صـ ٣٠٤ .

٤- **المرجع السابق**، صـ ٣٠٤ .

٥- جون ستوت **المسيحية والقضايا المعاصرة**، صـ ٢٥٦ .

٦- وليم باركلي، **تفسير العهد الجديد** الجزء الثاني عشر.

٧- جون ستوت، **المسيحية والقضايا المعاصرة**، الفصل الثالث عشر.

٨- الدكتور القس صموئيل حبيب، **الكنيسة والمرأة**، صـ ٣١ .

اقتباسات الفصل التاسع

١- القس صموئيل زكي، **المسيحية والوظائف الكنسية، وظيفة الشماس.**

٢- القس صموئيل زكي، **المرجع السابق.**

٣- الأب متى المسكين، **المرجع السابق.**

٤- القس صموئيل زكي، **المرجع السابق.**

٥- القس غسان خلف، **الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية**، كلمة رقم ١٠٩٦ .

٦- الدكتور القس أنور زكي، **المرأة في الكنيسة المصرية**، صـ ١١١ .

٧- الدكتور القس صموئيل حبيب، **الكنيسة والمرأة**، صـ ٤٧ .

٨- القس صموئيل زكي، **المرجع السابق.**

اقتباسات الفصل العاشر

١- الأنبا غريغوريوس، **الدرس الأول للمرأة**،الطبعة الثانية، صـ ٧-٩ .

٢- إيريس حبيب المصري، **المرأة العصرية في مواجهة المسيح**، صـ ٧ و٨ .

٣- الأنبا غريغوريوس، **المرجع السابق**، صـ ٧ و٨ .

٤- إيريس حبيب المصري، **المرجع السابق**، صـ ٦٢ و٦٤ .

٥- الدكتور القس أنور زكي، **أولادنا وكيف نربيهم**، ص- ٧ .

٦- الدكتور القس أنور زكي، **المرجع السابق**، صـ٨ .

٧- الأنبا غريغوريوس، **المرجع السابق**، صـ ٨ .

٨- القس إلياس مقار، **نساء الكتاب المقدس**، صـ ١٤٧ و١٤٨ .

في الوقت الذي اهتم فيه الكُتّاب الدنيويون والحكومات المدنية
في العالم كله بحقوق المرأة السياسية والمدنية والاجتماعية،
نجد أن الكتابات المسيحية قليلة في هذه الناحية. ومع أنه قد
ظهرت على فترات متباعدة بعض المؤلفات عن المرأة ومكانتها
في الكتاب المقدس، وكيفية تغيير بعض المفاهيم الخاطئة الناتجة
عن التقاليد والعادات الموروثة منذ القديم، فكان لزاماً من ظهور
كتاب يشرح بالتفصيل وضع المرأة في الكتاب المقدس منذ بدايات
العهد القديم إلى العهد الجديد.

ولهذا رأى كاتب هذا الكتاب أن يأخذ اتجاهاً جديداً متطوراً في
بحثه في الكتاب المقدس، وفي تحليله وتفسيره لبعض الأقوال التي
ربما فُهمت خطأ عن مكانة المرأة في التاريخ المقدس.

هذا الكتاب ظهر في حينه حيث بدأت المرأة العصرية تأخذ
مكانتها المتحضرة في مجتمع متحضر، ويجب أن تأخذ دورها في
الكنيسة.

١٠١٠٣٩٤٥